من المسرح العالمى

من الأعمال المختارة

سوفوكل - ١

• نساء تراخيس

تأليف : سوفوكل

ترجمة وتقديم : د. على حافظ

مسلسلة
من
المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

أحمد مشاري العدواني
الوكيل المساعد للشئون الفنية

د. عادل سلامه
استاذ الأدب الانجليزي المساعد بجامعة الكويت

زكي طليمات
المشرف الفني لشئون المسرح

المراسلات باسم :

الوكيل المساعد للشئون الفنية
وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣

من المسرح العالمي
أول نوفمبر ١٩٧١
شهرية
٢٦
١

من الأعمال المختارة

سوفوكل - ١

• نساء تراخيس

تأليف : سوفوكل
ترجمة وتقديم : د. على حافظ

تصدر عن : وزارة الإعلام - الكويت

العنوان الأصلي للمسرحية

COLLECTION DES UNIVERSITÉS DE FRANCE
publiée sous le patronage de l'ASSOCIATION GUILLAUME BUDÉ

SOPHOCLE

TOME I

LES TRACHINIENNES —

TEXTE ÉTABLI
PAR
ALPHONSE DAIN
Doyen de la Faculté libre des Lettres de Paris
Directeur d'études à l'École des Hautes Études

ET TRADUIT
PAR
PAUL MAZON
Membre de l'Institut

TROISIEME TIRAGE

PARIS
SOCIÉTÉ D'ÉDITION « *LES BELLES LETTRES* »
95, BOULEVARD RASPAIL
1967

مقدمة عامة
بقلم المترجم

(أعماق التراجيدية الآثينية)
آداب المعابد

سيبقى شعر سوفوكل ونحت فدياس وفلسفة سقراط ظاهرة محيرة حتى نرد كل ثمرة الى اصولها .. فنبوغ النابغين في الشعر والتماثيل والفلسفة لم يكن معجزة يونانية وانما كان فيضا من نهر معابد العدل والخير المنحدر من معابد مصر وله نظائر من معابد فى بلاد الافريق شب على دينها وتهذيبها نوابغ شعراء التراجيدية ونوابغ الفنون والحكمة وحفظت المعابد في تاريخ مدنية الخير والعدل أحسن ما بلغ العقل من بينات الجمال والحكمة .. كانت المعابد منازل مقدسة لعبادة المقدسات وعبادة الابطال ، ولا يرقى الى نبوغ المعابد الا من تشبه فى حياته ومماته بصفات الله في الخير والعدل ، وكان كأبطال الاساطير رجلا مرضيا ترضاه الآلهة وابطال الخالدين . والشبه بصفات الله في العدل والخير فرض على الحكماء أن يقيموا اجمل صلاتهم في معابد الابطال ويذكروا آيات الله في العدل والخير ، وهذه الصلاة كانت تتلى فيما تنشد موسيقى الخالدين وما خلقت مواهب المختارين من بينات الجمال والخير .. ان الحكماء يقولون : يا كاالليكليس : ان السموات والارض والآلهة والبشر تربط بينهم رابطة من الحب والنظام الجميل والحكمة والعدل وبذلك سموا العالم نظاما ولم يسموه فوضى ولا اضطرابا . وانت رغم علمك لا تلتفت الى هذه الحقيقة ، وغاب عنك ان المساواة وموازين الاشياء بالقسط ذات شأن وسلطان كبيرين عند الآلهة وعند البشر ، وانت تغفل هذه الهندسة الالهية اذا اطلقت الزمام لمطامعك(١) .

---

(١) افلاطون .

وآداب المعابد كانت دينا يخلق بحكمته أئمة العدل والخير . وتكاليف هذا الدين الصدق والبر بالانسانية . وقد حفظ الأدب الاغريقى في شعره وفنونه وحكمته كثيرا من آيات الله في دين معابد العدل والخير وفيما جمعت فلسفة أفلاطون مفاتيح الغيب فيما غاب عنا من آثار العادلين .

الأثينى : دعنا نقول لهم هذا القول ... ياقوم ان الله موجود في كل الوجود هو الاول والوسط والآخر وتنفذ مشيئته الى غايتها ميسرة وتلازمه العدالة تمضى في أثره وتنزل العقاب بالغافلين عن قانون الله فمن أراد أن يعيش سعيدا تبع العدالة خاشعا مهذبا أما من استهواه الغرور قزها بماله أو بما ملك من مناصب او بجمال جسمه في نزق الصبا والجهل ... واستعلت نفسه غرورا فلا يرى أنه بحاجة الى حاكم يحكمه أو هاد يهديه ، بل يحسب أنه أهل لأن يعود من عداه من الناس وهو مهجور لا اله له ، ويؤم قوما مثله ويهيم بهم في الضلالة فلا يلبث الا قليلا حتى يلقى عقابا عادلا ويهدم نفسه وبيته ووطنه رأسا على عقب ... فماذا على العاقل أن يفعل او يتدبر فى عالم بنى بهذا النظام .

كلينياس : ان ما تقول صريح مبين وكل انسان يجب أن يختار أن يكون من أتباع الله .

الأثينى : أى عمل يرضى الله عنه ويقبله ... عمل واحد ضرب له مثل قديم ... الانسان يحب من يشبهه والعادل يحب العادل ـ والجائر لا يحب سواه ولا يحب المقسطين والله عندنا هو مقياس كل شيء وليس الانسان مقياس كل شيء كما يدعون .

فمن أراد أن يكون ولى الله فلا بد أن يتشبه بالله بكل قوته ، وبهذا المنطق كان العالم الحكيم منا ولى الله الذى يشبه الله في صفاته والجاهل والفاجر والظالم لا يشبهون الله في شيء .. وقس على ذلك سائر الاشياء فسترى اننا ننتهى الى هذه النتيجة في أحسن المبادىء وأصدقها ، وسنعلم ان من أخلاق الطيبين ان يقربوا لله القرابين ، وأن يقيموا الصلاة ويوفوا بالنذر ويؤدوا حق الله في كل شيء وان ذلك هو أهدى سبيل وأقوم طريق الى السعادة ، والخبيثون الاشرار لا يرضون الله في شيء ، الاشرار نفوسهم آثمة ـ والطيبون نفوسهم طاهرة ولا يقبل الله ولا يقبل الطيبون عطاء من يد ملوثة نجسة ، وكم من جهد وتوبة وصلاة توسل بها الظالمون سدى الى

الله . ويقبل الله صلاة أوليائه العادلين . ولا بد أن نجعل ذلك المرمى نصب أعيننا في أي سهام ترمى ... أول الصواب أن نمجد آلهة السماء والآلهة الذين يحفظون وطننا وآلهة الآخرة . (١)

ثم نعبد بعد الآلهة الأرباب ونعبد بعد الارباب الابطال من أولياء الله ثم آلهة كل اسرة كما نظمها القانون ـ ثم نمجد الوالدين في حياتهما وبعد مماتيما .

★★★

ومعابد الاغريق في ديلوس وديلف ومعبد زيوس في أولومبيا ومعبد الاسرار ق أليزيس ، كانت تدعى بأسماء اغريقية ، ولكن عبادتها في اولها وآخرها كانت أسوة بعبادة المصريين لتخلد الابطال المصعدين الى مثل الخير الاعلى ، ومن هؤلاء الابطال كان شعراؤهم وفلاسفتهم ، كانوا قديسين أئمة الانسانية في مطالع الجمال والخير ولا ريب أن معابد المصريين من قبلهم كانت حافلة بعلمائها القديسين وشعرائها القديسين ، وكانت تروح فيها وتغدو أشرف ما عرفت الانسانية من بينات الخالدين في العلم والفنون ـ وما شداه شعراء الاغريق في معابدهم مازالت كتبه قائمة يتلوها أحرار الامم وعلماء الامم . واذا كانت غاية المعابد واحدة في مصر وفي بلاد الاغريق فدين الجمال والعدل واحد او متقارب متشابه ، والنسب قريب بين ما كان يشدو به شعراء المعابد في مصر وشعراء المعابد فى بلاد الاغريق ، والعروة الوثقى بين معابد مصر ومعابد الاغريق هى عبادة المقدسات وعبادة العدل والصدق وعبادة الابطال من سلف الماجدين .

في رحاب هذه المعابد قدست القيم الانسانية الالهية التي رفعت الانسان الحى الهالك الى الخلود ، ورفعت آمال الانسان الهالك الفانى الى مثل الله الاعلى في العدل والصدق والخير وملأت حياة الانسان ـ بالآلهة الخالدين ، فتأدب الانسان بالتقوى أى بخشية الله والخوف من البغى ، وحمل الانسان مبادىء الخير الى سماء الخلود والذين طلعوا مطالع الخير الشاهقةيحملون ألويةالبطولة ، أى كمال العلم والادبولقد أبقت المعابد بكتابتها المقدسة كثيرا من سيرهم،لأنهم أتوا بأسعد سعادة الانسان،وحفظوا فيما شيدوا من معابدهم ما أدرك الانسان من بينات السعادة والخير ، وما أصاب

---

(١) افلاطون .

الانسان في عمر الدهر من السعادة والخير قد أصابه الناس كافة ، كالشمس بنت الخير التى ترسل أياديها بالخير لكل حي ويتلقى منها الخير أمم كانت صالحة لأن يتلقى أبناؤها ألوية البطولة والكمال .

★★★

ان الذين بنوا لله معبدا بنوا بيتا يأمن فيه الخائف ، ويحتمى به المستجير ، ويتعلم فيه الجاهل،وترتفع آدابه وفنونه الى مثل الجمال الاعلى ، فلما هجرت معابد الخالدين خبت جذوة العلم الحق ، وهوت مقادير الانسان ، وفسدت النفوس والفنون ، ودخل الانسان في بربرية في مجاهل المقادير يسعى بأمل عليل الى زاد قليل ، وقصرت همة الانسان بعد مدنية المعابد عن ادراك معنى البطولة ، أى التشبه بصفات الله وفهم صلة العلم بالخير والمثل الأعلى .

وما يغنى عن الانسان حنينه الى الخير ان عجز عن السعي بنفسه الى الخير فان عثر احدنا على قيثارة أسمعت العالين في معابد طيبة بينات العدل والصدق والخلود ثم استعجمت قيثارة الخالدين لا تسمع شيئا . وسبب هذا العجز اختلاف فى كل مبادىء الحياة واختلاف فى معنى العلم وصد عن التزود من العلم بما كان يتزود به الخالدون .

« انه يجب علينا أن نفكر فى هذه الحقيقة « التعليم كل شيء » غير الذى يدعيه بعض الناس . أنهم يدعون ان العلم هو ان تملأ فراغ الجهل فى النفس بالعلم كمن يصب الابصار فى عينين كفيفتين — أنهم يدعون ذلك .... » .

« ونحن نبين الآن بهذا الحديث أن في كل نفس مقدرة فطرت عليها كل نفس ، « وان فى النفس ملكة تتعلم بها كل نفس ، وهذه الاداة فى النفس شبيهة بالعين « التي لا تستطيع أن تبصر قبل أن يلتفت الجسم كله من الظلمة الى النور ، وكذلك « التعليم يجب أن تلتفت النفس كلها عن النظر الى ما هو عارض متغير حتى تستطيع « أن تتأمل الحقيقة التي لا تتغير من اجلى صورها وهذه الحقيقة هي الخير ... أليس كذلك ؟ » ...

نعم : « التعليم هو فن لفت اداة النفس المتعلمة الى الخير بأيسر سبل « اللفت وانجعها ، فليس العلم ان نلقى ملكة الابصار فى النفس فملكة ابصار المعرفة

« فطرية كائنة فى النفس دون أن توجه الى الصواب او تنظر الى ما ينبغى أن تنظره
« والتعليم هو فن توجيه هذه الملكة » .

فقال : أن الامر يبدو كذلك .

« كل ملكات النفس تكاد تشبه ملكات الجسم . فما كان منها ناقصا فى أول
« أمره قد ينمو بالعادة والمران ، ولكن المعرفة عن طريق الملكة التي تكاد تكون ملكة
« الهية لا تفقد أبدا قدرتها على العلم ، وهي أينما توجه تأت بثمار توجيهها ، فان
« وجهت الى الخير جاءت بخير وان وجهت الى الشر كانت ضارة لا تفيد . أو لم
« تنظر الى الاشرار كيف تبصر نفوسهم الصغيرة الاشياء التي تلتفت اليها ملكاتهم
« العقلية ، انهم يرونها رؤيا حادة واضحة . وهم علماء فيما التفتوا اليه من شرور ،
« فملكة أبصارهم العقلية ليست ملكة قاصرة ضعيفة وانما هي ملكة مسخرة الى
« الشر وكلما كانت هذه الملكة بعيدة النظر كان صاحبها أقدر على فعل الشر (١) » .

« كيف نصبح فنداوى ملكاتنا العقلية مما ألم بها من عجز عن ادراك الجمال
« والخير فنتخذ آية الخير التي صرفت عنها أفئدتنا هزوا وسخرية ونتقن صنع السوء
« ونعطل الخير ــ ونابغتنا نابغة فى هدم الخير والتسلط بالشر ، هو محيط بالخديعة
« والمكر ، ومنبت الشر قديم في نفوس العالمين منذ تولت عقول العالمين عن علوم معابد
« العدل وآدابها . »

العلم في آداب هذه المعابد كان دينا وطهرا ، وأصبح العلم في غير هذه المعابد رزقا وتجارة ، ولا تهجر المعابد حتى يغلب دين المال والشهوات على دين العدل والخير ، ويسلط عوام البشر بغيهم وشهواتهم وخدعة آمالهم على ما بنى أبطال السلف من قيم لسعادة الانسان وكماله .

مدنية غابت معالمها في مجاهل الدهر البعيد القديم السحيق ثم لا يتذكر ميراثها الانسان الحديث حتى في أحلام ما يشتهى من السعادة . فله سعادة لا تتصل اسبابها بأسباب هذه المدنية ، واختار علوما تجهل كل شيء من علوم هذه المدنية ، ولم يلبث الانسان أن عبَّر هذه المدنية كالنائم الذى يعبر الليل دون أن يراه أو يستيقظ فزعا من عمايته وجهله . ومن أدب الانسان ان عجز عن السعى الى الخير

---

(١) افلاطون : الجمهورية ، الكتاب .

أن يألف الشر والعجز ولا يقوى على احتمال احلام الخير بل يشهر الانسان سيفه المسنون على آثار هذه المدنية ويحرق معالمها وينأى عنها بجانبه ويقاتل أولياء الخير وتنقسم الانسانية حزبين : حزب الخير وحزب الغرور والشر ، وحُجِبَ الخير وآثاره عن ابناء الانسانية ، وجفوا كل دعاء للخير . وكلما فزع وصاح فى ليل الغفلة واللهو اتخذه الغافلون هزوا وسخروا منه كأنهم سمعوا عجبا لا تألفه آذانهم أبدا كمثل الآتينيين الذين استمعوا لسوفوكل وسقراط وبندار وهم يفصلون لهم آيات العدل ، او الذين استمعوا لديموستين وهو يلهبهم بسياط بيانه عسي ان يتذكروا ما ورثهم آباؤهم من دين الحرية والعدل . ومن حسر النقاب عما تعلم المدارس في حياة سوفوكل وسقراط وديموستين يستبين حقيقة امرهم في عداد القديسين الذين قدسوا العدل على سنة معابد قدماء المصريين ،وعبادة الابطال في معابد زيوس وأبوللون وديميتر فى بلاد الاغريق . فلما خبت جذوة هذه المدنية القى الليل الكثيف سدوله فتوارت عن الانسانية شمس الخير واشتعل الليل على بربرية الظلم والجهالة ومخربات البغى والعدوان .

(أعماق التراجيدية الآثينية)

الانسان ظل من خيال منقشع

والله هو الاول والآخر والوسط

وهو ميزان كل شيء

ما بقى من شعر سوفوكليس كان آثارا كآثار معابد العدل والخير فى مدنية الاولين .. ولا نبلغ قرارة الخير والعدل الا بقلب سليم موصول بأسباب الخير التى فطرت عليها النفس قبل أن تصيبها علل الحياة وتلاوة الصلاة للخير كلما تجلت للنفس آية الصدق الابدى المتصل بملك الله تفتح آفاق هذا الملك ، فتشهد الانسان انه بغير الله ظل من خيال من نهار منقشع .. وكل شيء ما عدا الله باطل .. وهذه الحقيقة على صدقها لم يدركها الانسان عفوا بل كانت خبرة المختارين الذين اقاموا الصلاة في معابد العدل والخير ، وولجوا اليها بعلوم المعابد وموسيقى تهذيب المعابد التى بنت الانسانية لعبادة الجمال والخير .. فمن كان يرجو ان يكشف بالعلم بعض ما حجب الدهر من موسيقى المعابد.. قد يقرأ شعر **أنتيجونة** بطهر المعابد فترده أشعار **أنتيجونة** الى صدى قريب مما الف المختارون ان يسمعوه في معابد آلهتهم وابطالهم . ومن شاء أن يعلم سر ما آمن به الشعراء والفلاسفة في معابد العدل والخير فليقرأ آثار سوفوكليس التى تعلمه دين العدل والخير الذى ورثه سوفوكليس عن اجيال الخالدين .

وينشد سوفوكل آيات الخير والعدل في اساطير ابطال خلوا ، فأصبحت حياتهم وموتهم عبرة الابد وسنة الله التى لا تبديل لها . فان ميزان العدل كان قائما في مدى الدهر تختل موازينــه كلما تجاوز احد قدره وســنة الله أن تؤوب الموازين الى العدل اذا عوقب الباغى على مدى الدهر .. وشعر التراجيدية هو بلاء الباغى اذا تسلط معتدا بماله أو جماله أو حسبه ، ومن عاقبة البغى أن تأفل السعادة وينقلب الظالم شقيا لا يملك نفسه خيرا ويضل السبيل ، وما تنشد قيثارة الشاعر في عبرة الاساطير كان دينا آمنت به معابد العادلين من قبل سوفوكليس ، وامتدت أصول هذا الدين الى ما آمن به أولياء العدل من قبل . والعادلون الخيرون كانوا أمة من معدن شريف كمعدن الذهب الصافي .

« ان آلهة السماء خلقت أول ما خلقت من بنى الانسان الهالك أمة من
« انسانية شريفة كالذهب الصافى . كان ذلك ايام كرونوس — ايام كان كرونوس
« مالك الملك فوق عرش السماء .. كانوا يعيشون كأنهم آلهة مبرؤون من الهموم
« لا يغشاهم ألم ولا شقاء ولا ينوءون بحمل الشيخوخة المضنى بل يمكثون ما شاء
« الله أن يمكثوا يروحون ويغدون في محافل الفرح وايديهم واقدامهم شابة ولا يبلون
« لسوء ابدا فاذا حضرهم الموت فكأنما أغمضوا اعينهم لسكون النوم .. وكانت النعم
« تأتيهم من كل مكان فتحمل لهم الارض الخصب من تلقاء نفسها ثمرا شهيا وفيرا

« وهم احرار آمنون يعيشون من زرعهم في خير عميم .. فلما وارت الارض هؤلاء
« صاروا باذن زيوس العلى القدير من أولياء الله الابطال الساهرين على ارضهم
« الحارسين للبشر المنعمين بالخير وكان ذلك مجدهم الذى اكرمهم الله به »(١) .

من جنس الذهب ، اى من ابطال العدل والتقوى ، الى جنس الحديد ، اى الى الانسانية المقفرة من العدل والحياء منحدر سحيق هو فى أقرب صوره « تراجيدية الانسان » ومأساة الهول التي حرص الصالحون ان يدفعوها عن الانسان الذى يتردى فيها جاهلا مختارا .

★★★

الحكمة والادب خير ميراث تلقته الاجيال من عبرة الدهر .. وان صلحت حياة الاجيال رأيت القلب موصولا بأعز ما تسامت اليه همم آباء الانسانية الذين خلدوا في ذمة العالمين ابطالا يذكرون في صلاة الذاكرين . وعبادة الابطال ، اى ذكر الذين خلوا من العادلين في كل صلاة والتأدب بآدابهم والايمان بحكمتهم والتشبه بأعمالهم أقام في عمر المدنية الاولى الموصولة بشعر سوفوكل وحكمة سقراط ما أقام الاولون من معابد للعدل .. وما نستبين ما حفظت المعابد من روعة الآداب والفنون حتى نعلم قدر القديسين من علماء هذه المعابد ، ونعلم قدر فقهاء العدل الذين كانوا أئمة يؤمون بموسيقاهم المقدسة وحكمتهم الخالدة صلاة امتهم في ذكر الخالدين من آبائهم وآباء الانسانية ، وشعر سوفوكل في القرن الخامس قبل الميلاد موصول بأصول دين ابطال الصدق والعدل . فالشاعر نابغة قومه ونبى أمته ورسول الخالدين الى الانسان يعلمه ما حفظت الانسانية العادلة من بينات السعادة وآيات العدل والخير ، وما خلدت مدنية المعابد من ميراث العدل والصدق كان عدلا ابد الدهر وصدقا لا يأتيه الباطل من ناحية من النواحى .. ومن اتصلت آدابهم بدين العدل يهولهم ان يشهدوا الانسان فى هاوية الشقاء .

أليست بلية البلاء أن يرث البغي والبطش والفساد في الارض ما خلف العادلون من ميراث الجمال والخير ، وأن تبيت معابد الصدق والحق والعدل والخلود اطلالا

---

(١) كرونوس : هو والد زيوس .

لا ترد على سؤال احد ، ويتردى ابناء العادلين فى غى البغى والظلم والشهوات ظالما ومظلومـا ..

وقد ذهب العلماء في كل مذهب ليعلموا اصول التراجيدية في أثينا وما جاءوا به لا يشفى غليلا واقرب الموارد الى معرفة اصول التراجيدية ان نردها الى اشفاق شعراء العدل على الانسان من جهله وكوارثه .. ان التراجيدية ان تتردى امة في الشقاء بعد النعيم والمجد وان يَخْلُفَ أجيال الذهب العادلين أجيال من اجيال الحديد والظلم .

« ألا ليتنى لا يقدّر الله على ان اعيش بين رجال الجنس الخامس ، فاما ان
« اموت قبل ان يعيش هذا الجنس او اولد بعد ان يذهب بهم الله من الارض ..
« انهم جنس الحديد .. الذين لا يكفون في النهار عن الاعمال الشاقة والنكد وفي
« الليل لا يجدون سلاما . قد رمتهم الآلهة بالهموم الثقال .. وقد يشوب شقاءهم
« مرة بعض الخير ولكن زيوس سيهلك يوما هذا الجنس من البشر الهالكين ، انهم
« يولدون ولهم مفارق بيض ، لا يشبه الاب بنيه ولا يشبه الابناء آباءهم ولا يكرم
« المقيم ضيفه الغريب ولا يرعى الصاحب حتى صاحبه ولا يحب الاخ اخاه كما كانت
« الانسانية من قبل . واذا بلغ الوالدان الكبر فهما لا يلقيان من ذريتهما وقارا
« ولا احتراما بل يلومهما ابناؤهما بأنكر القول ولا يخشى هؤلاء الاشقياء غضب
« الآلهة ، لا يبرون بالوالدين ان كبرا ولا يقيمون وزنا لليمين والعدل والخير ولا
« يحترمون الا الرجل الظالم الباغي : العدل في القوة ، ولا حياء ولا ضمير لأحد .
« ويبغى الشر على الخير بقول ملتوٍ ويقسم على ذلك الايمان . والحسد العبوس
« والقمطرير الذى يتشفى في بلاء الناس يمشي في اعقاب البشر الاشقياء .. والحياء
« والعدل يهجران الارض العريضة ويصعدان الى سماء الاولب ويخفيان جسمهما
« الجميل تحت ستار ابيض ويتركان الانسان في الارض يشقى بالعذاب الاليم ولا دواء
« لما يعانى الانسان من آلام »(١) .

★★★

(١) هيزيود : الأعمال والأيام .

وتهذيب المعابد الذى تهذب به سوفوكل لم يرض من الانسان الا ما يرتضي آلية المعابد والخالدون من ابطال المعابد ، أى بالكمال والمثل الاعلى الذى يتشبه فيه الاحياء بصفات الله الحسنى . فلا يقيمون العدل يوما ثم ينكرونه يوما ، ولكنهم أقاموا العدل وتجملوا بالصدق للدنيا والآخرة ـ والتزموا آداب العدل والحق في نسكهم وصلاتهم وفي محياهم ومماتهم لم تقصر همومهم شيئا من غاية الله وحده لا يملك أولياء الله الا أن يشبهوا الآلهة في القول والفعل ... وأعمق مصائب الانسان أن يعيش شاعرا مرهف البيان والقلب في سماء المقدسات من آيات الخير يستمتع بجمالها الالهى الأبدى ثم يحمل تكاليف الحياة لامته يريد أن يحدو بها الى الخير وهى تسعى سعى الحريص الى هاوية البلاء . والذين قالوا ان سوفوكل كان اعمق شعراء التراجيدية الاثينية أسي قد حكموا بآثار موسيقاه في معارج الدهر . قد حيل بينهم وبين رهبة معابد العادلين التى شب فيها سوفوكل..وآثار الشاعر وقيثارته ما زالت قادرة على أى صورة قرئت على أن تذكر برهبة الخير والعدل والصدق .

الانسان أبو الهول

سائل الاسرار فى معابد الاولين . تمثال له رأس انسان حكيم وجسمه جسم أسد ، سأل المتقدمين الى خلافة الملك .. ومنهم اوديب عن : شيء يمشي اول النهار على اربع ويمشي وسط النهار على اثنين ويمشي آخر النهار على ثلاثة ، فعجز المتقدمون عن حل هذا اللغز الا اوديب الذى عرف انه رمز للانسان ، ومعرفة الانسان كانت اظهر صفات المدنية الاثينية في القرن السادس والقرن الخامس قبل الميلاد ومعابدهم كانت تقول للانسان « اعرف نفسك » واصبح الانسان في علم السوفسطائيين « ميزان كل شيء » وكانت اثينا تباهى انها « مدرسة الهيللينيين » قد سرقت جذوة من النار المقدسة وعلمت الانسان العلم والفنون . وحملت اساطيرهم حديث تانتالوس الذى سرق طعام الآلهة الخالدين وشراب الآلهة الخالدين ووهبهما الانسان ، فما قدر هذا الانسان في تراجيدية سوفوكليس هو على عظمته ابو الهول ، لانه حى هالك مخطىء . وسر تعليم تراجيدية سوفوكليس ان الانسان الذى بلغ قوة اجسام الملوك وقوة عقول الفلاسفة كلما اشرف على آية الكمال ترقبته البلايا وما لهذا الانسان من سلام سوى تقوى الله والعدل :

20 / 156

« من الانسان كائنا وغير كائن هو طيف من ظل نهار عارض اذا ألقى عليه ضياء من عند الله ارتد مجيدا وعاش سعيدا »(١) .

قد بلغ الانسان الهيلليني مشارف العلم والملك وحمل الانسان في طيات مقاديره الهول والآلام :

« في الدنيا عجائب كثيرة وليس فيها الاعجب من انسان ، انه يعبر اليم الاغبر
« في اعاصير الشتاء ويمتطى اعناق الموج المتلاطم حوله والارض كبرى الآلهات التى
« لا يغيض معينها ولا تنفد خيراتها جعل يقلبها بمحراثه عاما بعد عام ويسخر الخيل
« لحرثه ويطوق قوافل الطير الخفيفة ويأتي بها الانسان الذكى . اقتنص فى شباكه
« المفتولة وحوش الجبال وأحياء البحار ، وملك الانسان بحيلته حيوان الجبال
« المفترس واذل اعناق الجياد الناعمة لطوق النير ، واذل لطوق النير ثور الجبال القوى » .

« والمنطق والفكر المرسل كالنسيم ، وصفات المدنية قد علّمها جميعا واتقى
« لفح الثلج وقوارس الشتاء لانه لا يعدم حيلة . وهو يمشي الى غده غير محروم
« حيلة واستعصي عليه الفرار من الموت وقد وجد دواء للامراض المستعصية . قد
« بلغ في العلم وفي الفنون فوق ما تشرئب اليه الآمال : حتى اذا حكم تخبط خبط
« عشواء بين الخير والشر ، وخلط القوانين الخاصة بالارض بالعدالة التى حلف
« الايمان على رعايتها ، ومن يرتكب الظلم من تلقاء نفسه عن اقدام وجرأة فليس
« جديرا بحكم المدنية ولا يدين بديني ولا يصلى هذا الرجل بصلاتى » (٢) .

هذا الانسان غير معصوم من الزلل مهما بلغ من العلم .. وآثر سوفوكليس ان يستمسك بدين المعابد التى هذبته بتهذيبها العريق وهو لا يبتغى الا ما أدرك القديسون من ثواب فى معابد الاولين :

« ليتنى لا يقدّر الله على قدرا دون الورع والطهر في كل ما اقول وما أفعل ..
« وهما فريضة الهية شريفة ولدا في أثير السماء الصافي ولدهما الاولب وحده ولم

---

(١) تبداد .
(٢) سوفوكليس .

« تلدهما طبيعة البشر الفانية ولا يغشاهما النسيان ابدا وفيهما اله كبير لا تصيبه « الشيخوخة » .

« الكبرياء ام البغى والجور ، والكبرياء اذا افعمت بالباطل الذى لا يجدى « ولا ينفع ترتفع الى مطلع شاهق ثم تخر الى حضيض هاوية لا مخرج منها » .

« انى ادعو الله ألا يصرف عنى الدأب والجهاد في سبيل الوطن ولن اكف عن « ان اتخذ الله نصيرا (١) .

« فمن مشى معتدا بقوته متطاولا بقوله لا يخشى العدل ولا يقدس معابد الآلهة « فليتلقفه قدر شقى جزاء تعاليه وغروره اذا اغنى من حرام او ارتكب ما حرم الله « عليه او داس على المقدسات ، من الذى يستطيع في هذه الجرائم ان يقى نفسه « الشطط ، واذا مجدت بين الناس هذه الجرائم فعلام آؤم المنشدين » .

« انى اذن لن اذهب الى وسط الارض المقدسة لاصلى لله وما كنت لاصلى في « معبد ابائي ولا في معبد زيوس اولومبيا اذا لم تكن بينة يرضي بها الناس جميعا . « لو كنت حقـــا مالك الملك اهلا لما يناديـك المنادون « يا زيوس » فـلا تغيبن « هذه الحقيقة عن ملكك الازلى الذى لا يغيب ان ما تنبأت به لايوس قد ذهب سدى « ولا يمجد ابولون فى ناحية من النواحى وغاضت عبادة الله وضاعت المقدسات » (٢).

واصل التراجيدية عند سوفوكل هو شقاء المؤمنين بقوة الانسان ، الكافرين بقوة الله . وجاءت التراجيدية فى أثينا فى القرن الخامس قبل الميلاد لتكون فى ظاهر الاشياء مدرسة سياسية تعلم الاثينيين ما يتوقون وما يحذرون من غائلة البغى والكفر بالمقدسات .. فهى مدرسة الاحرار التى تبلغ بالاقناع والموسيقى اسرار الحقيقة التى تخفى معالمها في نشوة الحكم والسلطان ، ونحن ان فسرنا بينات اسرار اعياد التراجيدية رأينا اصولها ممتدة الى هذا الغلو في الاعتداد بما يستطيع الانسان من بأس انسي الاثينيين في سطوة الحكم دين العدل والتقوى الذى آمنت به معابد الاولين وتهذب بتهذيبه الابطال من نوابغ الانسانية .

---

(١) سوفوكليس .

(٢) سوفوكليس : أوديب الملك .

لكن اثينا مدينة سوفوكل قد اصبحت غداة الحرب الاميدية في القرن الخامس قبل الميلاد مدينة تباهي بانها وهبت الانسان العلم والقوة ، فمنذ اصبح الانسان حرا وملكا صيغ لهذا الانسان كل ما خلق العقل من فنون وادب ، وسعى العلماء النابغون الى ديار هذه المدينة التى باتت تباهى العالمين ان ابناءها كلهم ملوك وليسوا عبيدا لاحد وملكوا ملكا عظيما واقبل هؤلاء العلماء يعلمون ابناء الاثينيين الغلبة في الاقوال والافعال . وصار شرف الحياة ان تكون غنيا في اثينا يأوى الى بيتك هؤلاء العلماء الذين يعلمون فيما يدعون كل شيء وتراهم في دار بيريكليس اشهر علماء زمانهم في الفلسفة والموسيقى : مثل اناكساجور فى الفلسفة ، ودامون في الموسيقى وهو صديق فيدياس وصديق كثير من نابغى عصره ، هؤلاء العلماء جاءوا بعلم جديد اغروا به الشباب في أمة تطمع أن تأتى بما لم يأت به احد في العلم والمعرفة . من خلا قبلهم من علماء المعابد جعلوا العلم قبسا من نور الله واختصوا به المختارين من أولياء الله وصيغ ذلك في صيغة قصص للآلهة ثمار نبوغه وما يجتمع جمع الاولين في حج معابدهم الا ليشهدوا آلهتهم على ما وهبت آلهتهم الانسان من جمال الجسم والعقل .

وكانت الديموقراطية الآثينية في أيام سوفوكل حزبين كل حزب بما شبوا عليه من تهذيب ودين :

حزب الفاضلين الذين ورثوا التهذيب الموروث المتصل بمجد السلف الطيب والمتشبه بأفعال ابطال الاساطير ويدين بالعدل ، والتقوى ويرد كل مجد للآلهة الخالدين .

وحزب من عامة الشعب يدين بالانسان ولا يصدق بدين الله والتقوى ولهم معلمون يعلمونهم ان ينجحوا في مغالبة الحق بالباطل وآمنت هذه الطائفة انالانسان مقياس كل شيء ، وان العلم ثمرة الحواس وهو الحكم بظاهر الامور .

وفلسفة القرن الخامس قبل الميلاد وشعره حملا بينة الخلاف بين الحقيقة وظواهر الامور والاشياء ، وبين ما تتعلق به نفس هذا الاسان من شهوات ذات ظاهر خلاب ولا تغنى عن الانسان شيئا . فهو انسان جاهل معاقب يحمل الماء فى دلو مثقوب ليملأ به وعاء مثقوبا ، ويحسد هذا الانسان نعمة جاره ويباهى هذا الانسان بما فيه حتفه من اليأس والجور والبغى وظاهر القوة والثراء ويتقاتل هذا الانسان على الملك ثم لا يعرف نفسه ، واصبحت اثينا ام ما نسميه المدنية الانسانية واصبحت

بتهذيبها الموروث بالموسيقى ورياضة الابدان امة ابى الهـول الحديث اى امـة التراجيدية .

فأي هول فى الانسان ان جد الانسان فى مطالع الكمال فى العقل والجسم . آفة هذا الانسان ان يعتد ثم يزهى بكبرياء ثم يحسب نفسه عالما وما هو بعالم ، وماذا يضمن الغد لهذا الانسان الذى نبغ في اثينا فملك في ايام سوفوكل سيادة البحر ونبغ في الكلام وصاغت يمينه صور الابطال والآلهة لكنه ان حكم جار جور الجاهلين وترى القديسين من الشعراء والفلاسفة في القرن الخامس ق.م يحملون بالاقناع على مبادىء المدنية الجديدة التي جعلت الانسان سيد كل شيء وميزان كل شيء وتكاد تقطع الاوصال بينه وبين دين العدل والتقوى . ستقول فلسفة سقراط وافلاطون ان الانسان ليس مقياس كل شيء وان الله وحده هو مقياس كل شيء .

وتراجيدية سوفوكل هى تراجيدية الانسان الذى جعل عقله مهما كمل مقياس كل شيء واغفل قانون الآلهة الذى يزن كل شيء بالحق والعدل ، الانسان ليس مقياسا سليما فيما يقول سقراط .. قد يكون الانسان مريضا ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا ، وقد يكون مجنونا يرى الاشياء كما يصورها عقله المريض واذا كان الانسان مقياس كل شيء كما يقول بروتا جوراس ، وان الحقيقة هى ما يدرك الانسان بحواسه كان الانسان معصوما من الخطأ ولكن الانسان بحواسه لا يخرج من خطأ الا الى خطأ والعصمة لله وحده .

سقراط : اتعلم يا تيودور في أى شيء أعجب لصديقك بروتا جوراس ؟

تيودور : في أى شيء تعجب ؟

سقراط : انى استعذبت كثيرا مما قاله كقوله الحقيقة هى ما يشعر به كل انسان ولكنى عجبت من اول بيانه وعجبت انه لم يستفتح كتابه عن الحقيقة بقوله الخنزير مقياس كل شيء او رأس كلب او عجيبة من عجائب الخلق ذوات الحواس . ولو انه قال ذلك متعاظما محتقرا اول بيانه لظهر لنا نحن الذين نعجب بعلمه كانه اله . انه في الفهم ليس افهم من رأس ضفدعة وانه ليس في ذلك افهم من عامة الناس .

هذا العلم الحديث نبغ نبوغا كبيرا فى علم الكلام والبلاغة ونصر الحجة الضعيفة على الحجة القوية وآمن بمنطق الحواس الظاهرة وتخفف من اعباء رهبة الكذب

وتحريف الكلام عن مواضعه وحرص كل الحرص على ان تغلب حجته خصمه في القضاء والسياسة وجدل العلوم وهذا العلم الحديث اخذ بألباب الآثينيين ثم تعدت آفته الى ضمير السياسة والاخلاق ، كيف ترد الفلسفة والشعر عن أثينا هذا السيل .. ؟

التراجيدية : خفيت اصولها على العلماء .. وهى ظاهرة زمنية اتت ثمراتها الباقية على يد اشيل وسوفوكل ويوربيد فى القرن الخامس قبل الميلاد ثم خبت معالمها في اعماق الادب الا ما قلد الشعراء ما حفظوا من آثار التراجيدية الآثينية . وهي في جوهرها صراع ديني يريد ان يرد الانسان المتهافت على الهاوية الى سعادة العادلين . وكانت فلسفة سقراط صراعا كصراع التراجيدية يريد ان يقيم في قومه ما تصدع من دين العدل والتقوى .. فهو يدعو الى ما يدعو اليه شعراء التراجيدية . هؤلاء تنشد قيثارتهم بلاء الجور والغرور وهو ينفذ بعقله ومنطقه الى اقناع مجادليه بشقاء كل ظالم وبسعادة العادلين . وترقى التراجيدية الى بطولة المثل الاعلى ويرتفع سقراط الى سماء المثل الاعلى ، فسقراط يؤدى الى اثينا مثل ما يؤدى شعراء التراجيدية لان غاية الشعر والفلسفة واحدة واجلى ما يجمع بينهما من شبه هو دأبهما فى حرب دين السفسطة وحرصها على ابقاء دين المعابد وآداب العادلين وبذلك يجهر سقراط يوم يعلن انه يؤدى ما تؤديه التراجيدية في أثينا .

« اما شعراء التراجيدية فلو انهم جاؤونا يستأذنوننا وقالوا يا قوم هل لنا ان
« نمشي فى مدينتكم وبلدكم وننشد اشعارنا فيكم ، ام ماذا ترون فى امرنا ؟ فماذا نرد
« به على هؤلاء الرجال المقدسين .. انى اعتقد انا نقول لهم هذا القول : ايها الرجال
« الاخيار انا نحن ايضا صناع نستطيع ان نؤلف اجمل واصدق تراجيدية، كل نظامنا
« السياسي انما هو تشبه بأجمل الاخلاق واحسنها وهو ما نسميه فى الحقيقة اصدق
« تراجيدية ، فان كنتم شعراء فيها فنحن مثلكم شعراؤها ونحن ننافسكم في صنع
« اجمل تراجيدية لا يخلقها ولا يتم صورتها الا القانون الحق » .

وبذلك تقترب فلسفة سقراط من اصول التراجيدية الآثينية وهي انها ترد الحياة الى النبع السعيد الذى نبعت منه آداب المعابد ، وتدفع سيل الانسان الحديث الذى يتجافى متكبرا على ما اورثته مدنية العدل والخير وما فسرت فلسفة سقراط من بينات العدل بالاقناع والمجادلة قد يفسر ما يغيب عنا من رموز الاساطير

التى حفظتها التراجيدية والتى نقرؤها كما نقرأ نبوءة دلف ورموز الكتابة المقدسة في معابد العدل والخير والذى جعل لشعر سوفوكل مكانا في العالمين هو نشيده ما قدس الابطال في عمر الانسانية اى بمعابد الاولين وهو متصل بما حفظ الدهر من حياة الانسانية في زمانه وما آمن به الكتاب والشعراء في أيامه فهو في اوله وفي آخره كنز غنى من دين الانسانية السعيد وهو صلاة فى دين الصالحين كلما امعنا فيها بلغتنا بعض ما حمل الضمير السليم من ميراث العدل والخير رغم مجاهل الطريق .

★★★

العلم والخير

فيما عبرت به لغة المعابد المقدسة عن أولياء العلم والخير قلب متعلق بحمل الماء للظامئين الى العلم والقلب المتعلق رمز للحب وسقاية الظامئين رمز للخير ، وحب العلم أعلى صفات الخير ، ويرمز صب الماء الى معنى الطهر والنقاوة ، فيكون ثانى معانى العلم اداة المعرفة أي قلب طاهر . ويخرج فلاسفة الاغريق من فضيلة العلم طهر النفس وتطهيرها من أعباء الحياة الدنيا والسمو بالنفس الى مثل الخير الاعلى .

ونتأمل رمز القلب المتعلق والماء المطهر فيخرج معنى الحب الذى يسمو بالروح والعقل الى مثل الخير الاعلى . ومن نعمة الله أن يبقى شعراء الاغريق وفلاسفتهم ما حفظوا من تأويل هذه الرموز الهيروغليبيفية فيما أورثهم اياه القديسون من علماء المعابد في مصر قبل أن تغشى بصائر العلماء غشاوة السفسطة والبعد بالعلم عن ملك الله والخير .

ما يدخر العادلون من ذخر فى معابد آلهتهم وأبطالهم الا ما كان موصولا بأشرف صفات الانسانية ، وحكمة المعابد صانتها يد النحت والتصوير فيما حفظت من آداب الاولين ، والنحت والنقش في معابد مصر صنوان لما افتتنت به قيثارة شعراء الاغريق .

هل تخفى أواصر القربى بين ما نقش الناقشون فى معابد مصر وما شدا به شعراء الاغريق .. ملك مصر يحرث الارض وملك مصر يجمع ثمار الحرث ... ويفسر الحرث والحصاد بعض ما عبر به شعراء الاغريق عن الحرث والحصاد .

« وكذلك تحدث البطل وهو ولى من اولياء الله وكان بيده درع من الصلب ولكن طوق الدرع ليس عليه نقش فهو لا يحفل بظاهر الاشياء ولا يحفل الا بالحق يؤثر أن يكون بطلا فيما بينه وبين الله ولا يبالى بظواهر البطولة فيما بينه وبين الناس » .

قد زرع في قلبه زرعا خصيبا ينبت ثمرا من الحكمة وسداد الرأى .

وما تحفل هذه المدنية الا بالعادلين الذين عصموا بنى قومهم وأبناء الانسانية من البوار والحزن ، وهيفايستوس في الياذة هومير زين درع أخيل بصور كنحت المعابد : نقش هيفا يستوس فوق درع أخيل مدينتين جميلتين من مدائن البشر في المدنية الاولى أفراح وولائم وتزف العذارى من غرفهن علانية في المدنية بنور المشاعل وتتعالى في زفتهن أغانى الفرح ويستدير الشباب يرقصون على وتيرة الموسيقى الناى والقيثارة وتخرج كل امرأة الى عتبة دارها تنظر معجبة .

★★★

واذا كان البطل ملكا فهو درع ان قضى بالعدل رجلان اختصما على دية قتل وشيوخ المدينة يقضون بينهما بالعدل ويكافىء الملك أصوب القضاة حكما ودراية ورأيا ، والبطل راع ساهر على رعيته كالكلب الامين يرد عنها سباع الوحوش فاذا وثب عدو على المدينة وثب أبطالها فى عربات فروسيتهم حتى يردوه .

ويصور هيفا يستوس أرضا للملك فيها زراع بأيديهم مناجل الحصاد الحادة يحصدون بها الغلة وتسقط الغلة على الارض فوق مدارج الحرث ويضم الحاصدون منها حزما ويقف من ورائهم ثلاثة يضمون ما تخلف عنهم ومن ورائهم أطفال يضمون ما تخلف منهم ويحملون ما يجمعون ملء ذراعيهم ويعطونه لمن يحزمونه حزما وكان الملك بينهم صامتا يحمل عصا الملك المقدسة ووقف على درج الحرث وقلبه فرح سعيد . (١)

فرموز درع أخيل تفسر ما نقش الناقشون على معابد العدل ومثلهم الطيب أن الملك السعيد هو زارع الخير وجامعه وحارث العلم والحكمة وجامع ثمار العلم والحكمة وهو أبو الخبز فى أشرف منازل الخير .

---

(١) هومير « الالياذة » .

موسيقى المعابد

في مدينة المعابد الاولى صلات وثيقة بين فنون المعابد وقرابة بين موسـيقى المعابد والنقش والتماثيل وما بلغه الانسان من روعة الجمال ، والآداب وما يتهذب فيها أحد الا بتهذيب الله .

قال الشاعر بندار في مطلع البيتية الاولى (١) :

غن ياقيثارة الذهب .. صوت أبولون وشدو بنات زيوس ملهمات الموسيقى والشعر ذوات تيجان البنفسج اذا سمعك الحفل يوم العيد بدأ يمد الخطى للرقص ويلتزم المنشدون بطاعة نغمك اذا صدحت أوتارك أول نغم تبتدىء به خطى أئمة الرقص وأنت تطفئين شهب النار ، وينام النسر فوق فرعه المقدس ، ويرخى ملك الطير جناحيه ذات اليمين وذات الشمال اذا ألقيت على رأسه العالى سحابة وظلمة ، وصببت عليه نعاسا ناعما ، فينام النسر رافعا ظهره المرن طروبا بتوقيعك الساحر ، ويضع آريس اله الحرب حرابه ويلين قلبه بنشوة وقعك ، وينتشى بنشوتك الالهة الخالدون اذا عزف عليك أبولون وبنات زيوس ملهمات الموسيقى والشعر ذوات الثياب العميقة المرسلة ، وكل من يبغضه زيوس ترتعد فرائصه ، اذا سمع صوت الملهمات (٢) .

★★★

موسيقى السلام والاقناع التي تغرد شدوا يطرب له نسر زيوس وكل موسيقى مقدسة يطرب بها رب الحرب فتلين قناته وتطرب بها آلهة السماء ، وترتعد من سمعها فرائص الظالمين الذين لا يحبهم الله لانها فى أعمق نبراتها معبرة عن عدل الله الذى لا تبغى نبراته بعضها على بعض ويستوى هذا العدل في هارمونية الموسيقى وجمال العبارة وجمال النفس والتماثيل حتى لا يبغى شيء على شيء وتطرب النفس لما تجد في هارمونية الخلق فيما تسمع وما ترى وبذلك حرص أبطال هذه المدنية على

---

(١) Pindar - 1 ere Pythique

ان يبنوا قوة أجسامهم بموازين الموسيقى التي لا تبغى فيها بهيمية الجسم على موازين العدل بل جعلوا موازين العدل في الموسيقى هى الغاية الاولى والآخرة في قوة الاجسام .

« ماذا على الانسان ان لم يجعل له همة الا بجسمه يتولاه بالالعاب الرياضية
« ولا يقرب العلم والموسيقى فى شيء ، فاذا فرضنا أن بنفسه بقية من حب العلم
« والمعرفة فسترد هذه البقية عجزا ويضرب عليها العمى والصمم لانه لا يذوق
« العلم والبحث ولا يدخل فى حديث علمي ولا يصغى لشيء من الفنون والموسيقى ،
« وقد خفى حب العلم فى لج مشاعره البهيمية لا يستطيع أن يزكيه أو يتولاه بشيء
« من الرعاية .

« هذا ما يصيبه » .

« سينقلب هذا الرجل عدوا للبيان جاهلا بالادب والموسيقى ولا يتخذ الاقناع
« بالقول سبيلا الى شيء ولا يتخذ الا القوة الوحشية كالبهيمية في كل ما يعمل ،
« ويعيش فى الجهالة والظلمات محروما من ألحان الموسيقى ونعمة جمال الفنون » .

« فأجابنى : انك على صواب فيما تقول » .

« وعندى أن الها ما قد فرض على الانسان هذين الامرين : الموسيقى والالعاب
« الرياضية لينمى فيه الشجاعة وحب العلم ولم تكن غايته الروح والبدن الا ان
« تكون هذه الغاية نافلة وانما الغاية ان يلائم بين الجسم والعقل ملاءمة موسيقية
« محكمة لا يبغى بعضها على بعض فى شيء » .

« فقال : انى أقرك على ما تقول » .

« وان الذى يجمع بين رياضة الابدان والموسيقى فى أجمل مقاديرهما ويوجههما
« الى تهذيب روحه بأدق الموازين : هذا الرجل هو أكمل موسيقى ومحقق لأجمل
« موازين الهارمونية ـ انه أجل مكانا فى الموسيقى ممن يحكم أوتار القيثارة بعضها
« على بعض » .

ويتصل علم المعابد بمثل الخير الاعلى ولا يحمل امانة علوم المعابد الا الذين يردون موارد الحقيقة المطلقة ولا يخدعون بمظاهر الاشياء ، ومن أحب العلم حقا فقد أحب الصدق وهو ذو نفس كبيرة لا تقتنع بالقليل وتتطاول الى معرفة العلم كلـه الموصول بالله والموصول بالانسان .

والعلم درجات أعلاها مثل الله الأعلى يتدرج في مدارجها الموهوبون وتألف النفس منذ الصبا صور الاجسام الجميلة ثم تتدرج منها الى ادراك المعانى الجميلة ... وفكرة (ديوتيم) في التدرج فى مدارج العلم قريبة من تأمل الكتابة المقدسة وفهم رموز الاساطير .. وما يزال المتعلم كالداخل في اسرار المعابد يتعلق بجمال الصور حتى تفصح الصور عن مكنونها فتبدى لبصيرة العقل طرفا من بينات الحكمة وهى أن حدثت بشيء من جمالها كانت أشد سحرا واخذا بالألباب من جمال الجسم وحده وجمال الاجسام ليس الا ظاهرا لما تبطن الاجسام من عقل وحكمة وندع خبرة الدخول في أسرار الجمال والخير وأسرار مثل الله الاعلى لمن شبوا في معابد الجمال والخير ، ويقول سقراط على لسان (ديوتيم) القديسة الغريبة التي أدخلته في اسرار الجمال والخير .. بعدئذ أى بعد جمال الاجسام يرى الانسان جمال الارواح أغلى وأعز من جمال الاجسام ويتدرج الانسان من جمال الارواح الى جمال الادب والحكمة والاخلاق الكريمة ، وبعدئذ يدفع الانسان الى جمال العلم وحينئذ تتكشف للانسان آفاق مثل الجمال الاعلى ، وهنا تقول « ديوتيم » لسقراط :

« ابذل قصارى جهدك والتفت بكل ذهنك الى ما اقول : من اهتدى فى مدارج
« حب الجمال حتى اطل على آفاق مثله الاعلى بعدما تدرج فى مدارج الجمال يألف
« جمال الاجسام ثم جمال المعانى ثم جمال الحكمة ثم جمال المعرفة والعلوم ويهتدى
« فى تدرجه بمعلم حق حتى يبلغ أسرار جمال الحب ، انه لا يلبث اذن يا سقراط أن
« يبصر جمال ما أعجبه ، هو الجمال الذى أنفق فى سبيله كل هذا الجهد انه جمال
« أزلى لم يلد ولم يولد ولا يزيد ولا ينقص ولا يكون جمالا مرة وقبحا مرة أخرى
« ولا يكون جمالا في ناحية وقبحا فى ناحية أخرى » .

اعماق التراجيدية

أ) السفسطة والكفر بمعابد العدل

(بروميثيوس فى اغلاله)

ب) دين المال

(كوميدية أريستوفان)

دين المال وسكرة الحكم

متى هجر دين العدل أفئدة الانسانية احتل أفئدة الانسانية دين جديد من حب المال وحده ، وحب المال الاعمى أعمى بصيرة الانسان عن الخير ، ودمر دين العادلين .. وحينما دعى أولياء العدل الى الخوف من البغى رأوا في آفة الانسان التكاثر في الاموال والثمرات كل أمرىء يرجو ثراء المال .. ويجر ثراء المال أكل مال الناس وأكل مال الله وأكل مال الوطن بالباطل .. وثراء المال قوة طاغية تبنى قصورا وتملك بها ما يشاء الله من مظاهر الجاه والسلطان .. وفي حكومة الاغنياء لا يبلغ مناصب الملك الا من ملك نصابا معلوما من المال ، ولو فتشنا في أصول حكومة الطغيان وجدنا حب المال في أشده اساس الطغيان والبغى .. وحب المال سكرة .. وطيباته خير ظاهر يغرى عامة الناس .. وعامة الناس :ن اختاروا يستحبون المال على العدل ، ونحن ان اخذنا بآداب الاولين استمعنا لصيحات الحكماء في كل واد وهم يحذرون قومهم غائلة الجور والتعطش الذى لا يرتوى الا بالمال الحلال والحرام .. وما يعمر الخير طويلا في أمة من الامم الا حيث قدس دين العدل في أفئدة الناس وتعالت هذه الصيحة منذ الأزل ، وكانت الصيحة في واد الا من عصمه دين العدل ، وعصمت أفئدة الناس من آفة البغى والتكاثر وقد غزا حب المال معابد العدل فذبلت كل ثمار العدل جيلا بعد جيل حتى اصبحت المعابد ذات نهار اطلالا مهجورة وعجائب من آثار الدهر ، وغزا حب المال ضمير البشر حتى بات الانسان لا يصدق بدين العدل ولا يكاد يصدق ما تحدثت به الاساطير من سعادة الاولين ، وتضاءل قدر الانسان ، وكفر الانسان بالعدل الا ما يقول بلسانه فى سبيل المال .

« لم يكن أدب القرن الخامس ق.م. الا مشـــــهدا لحرب بين دين العدل
« والمال .. حين ينتصر أولياء دين المال .. ويشقى الانسان ـ بمدنية المال .. لم
« يرم البشر بقانون أوخم من نظام المال ، فهو الذى ألقى الوقيعة والشقاق بين
« أبناء الوطن وأخرج الناس من بيوتهم وهو الذى أغرى النفوس الفاضلة وجرها
« الى ارتكاب العار ، وهو الذى علم الانسانية أن تستمسك بالشرور وولد فيها
« الاثم والعدوان وعلمها الا تتقى الله في كل ما تعمل » .

وهذه الآفة قديمة فى عمر الانسانية اذا سلطت على أمة .. لا تلبث أن تطفىء مصابيح المعابد والبيوت المهذبة والانسان الشريف ... فقد أطفأ رب المال مصابيح

أرباب العدل فى معابد الاولين وقلوب الانسانية الاولى .. حيزيود فى القرن الثامن قبل الميلاد .. صور تحول الانسان من سعادة العادلين الى شقوة دين المال في تحول أجناس البشر من جنس الذهب الى جنس الحديد ، أى فضيلة الاريستوقراطيـة الشريفة الى شرور ـ الرذيلة التى لا تستحى من فجورها ولا ترعى العدالة في شيء ، وهو تحول بطىء يخرج من ابناء الذهب الصافي خليطا من ميراث العدل وحب المال الى جنس الفضة ، ويخرج من جنس الفضة جنس ثالث من البرونز لاهم لهـم الا القتل والقتال ، وخرج من هؤلاء جنس رابع هم أبطال طروادة ، والسبعة الذين حاصروا طيبة ، ثم خرج من هؤلاء جنس خامس هو جنس الحديد حيث تعيث الفاحشة في الارض فسادا ويغيض الحياء والشرف ، ويعالج الانسان آلاما لا دواء لها .. فحتى يطرد العدل من معابده ومن أفئدة المؤمنين صراع طويل خفى وظاهر في أجيال طويلة .. قد نرى ذلك فيما زينت به معابد من الذهب والفضة فى أفول دين العدل وفي الجنة التي وعد المؤمنون .. فما يقول أفلاطون فى حساب الموتى الذين يعترفون لدى ربة العدل انهم كانوا عادلين كان لا يدخل الجنة الا من كان عادلا حقا وصدقا حتى غلب رب المال فان مات رجل غنى شيعته المدينة عن بكرة أبيها ، وشهدت أنه كان من العادلين فدخل الجنة ، وأبى زيوس أن تكون الجنة للظالمين ولا يدخلها الا مـن كانت صفحته بيضاء من غير سوء (وزينت المعابد التى كانت مقاما للعدل بزينة المال ، وقد ثارت على بريكليس في القرن الخامس ثورة العادلين من قومه الذين أبوا عليه أن يزين الاكروبول بمال الحلفاء الذين أودعوا أموالهم في معبد ديلوس وقالوا له أتريد ان تزين آلهتنا ومدينتنا بزينة المومس التى تتجمل بالذهب الحرام .. ولم يغن عنهم قولهم شيئا .. ومن آثار قدماء المصريين فيما يقول بلوتارك لوحـة نقش فوقها لعنة صبها المصريون على أول من أدخل على حياتهم حب البذخ والتظاهر بالاموال .. ولوحة أخرى للقضاء العادل .. الذى لا يؤتى الا من ناحيتين اذا مـد القضاة أيديهم لرشوة واذا حابوا خصما غنيا على خصم فقير فصوروا قضاة لا أيدى لهم ، وشيخ القضاة مكفوفة عيناه لا يميز بين ـ المتقاضين ويؤاسى بين الناس في عدله ومجلسه .. وهذا الصراع القديم بين العدل والمال منبث في عمر الانسانية في خفايا الاجيال حتى تنشق السعادة ويتصدع بناء الانسانية ويشقى الانسان بنفسـه ومطامعه .. آداب القرن الخامس (ق٠م) انشقت عن هذه الكوارث الانسانية التي حملتها الاساطير الاولى اذا غلب العدل ، فعقاب العدل واقع لا محالة وذلك الذى أخرج للناس آداب التراجيدية الآثينية في القرن الخامس .. وشابهت سياسة الآثينيين

أسباب التراجيدية لأن المال هدم ما بنى العدل .. وأعماق هذه التراجيدية عميقة لأن الانسان الذى تعلق بأهداب المال كان أعمى كاله المال وكان لا يبصر عظة العدل ولا يستبين النصح الا ضحى الغد أى بعد أن تنزل به الكارثة ... فتش عن أسباب ما نكبت به الانسانية فيما نكب به أجاممنون وأوديب والفرس في الحرب الميدية واثينا فى حرب صقلية ، تجد الكوارث باغية جائرة أعماها عن العدل التكاثر فى الملك والاموال والثمرات .

وعظة صولون لكريزوس ملك الميدين أصبحت مثلا معلوما شائعا ـ تداولته كتب القصص والامثال وهى ان تأملناها صراع بين دين العدل ودين المال وهي من حكم القرن الخامس « ق . م . » ـ ذهب صولون مشرع أثينا في أواخر القرن السابع الى كريزوس ملك الميديين فوجد ملكا أوتى من المال وجواهر الارض ما فاضت به خزائنه وحوله أمراء عليهم ثياب مزينة بالذهب والفضة ، وعنده الخيل المطهمة وهو يؤمن أنه أسعد الناس ... فعرض ثراءه على صولون ثم قال له : يا صولون هل رأيت أحدا أسعد منى . قال : نعم انى رأيت تيللوس وكان رجلا من عامة الآثينيين خلف ذرية سعيدة وعنده من المال ما يكفى حاجته وكانت خاتمته سعيدة فقد مات مجيدا وهو يحارب من أجل وطنه .

« وهنا يقول بلوتارك : فلما سمع كريزوس جوابه ظنه غبيا غير مهذب « وغير مميز كيف لا يعد الذهب والفضة نعمة الحياة والسعادة وكيف يضع حياة رجل من عامة الشعب في منزلة فوق ملك عظيم يملك هذا الثراء والسلطان ثم سأله مرة أخرى ـ هل رأيت احدا أسعد منى بعد تيللوس ؟ .. فأجابه صولون : نعم انى رأيت كليوبيس وبيتون وكانا أخوين متحابين ويحبان امهما فوق كل محبة ، كان على أمهما أن تذهب الى المعبد في يوم عيد في عربة يجرها ثوران فلما تأخر الثوران جرا العربة بأمهما ففرحت امهما وتحدث الناس بسعادتها لأنها انجبت ولدين صالحين وقد قربا قربانا طيبا لربة المعبد .. وراحا وناما نوما سعيدا ثم لم يستيقظا في الغداة فقد ماتا دون أن يصيبهما ألم بعد ما نالهما من المجد والشرف » .

في أيام صولون .. تصدع بنيان الانسانية فقد غزا المال دين عامة الانسانية وأمال أكثرها واستمسك ببقية دين العدل بقية من القديسين والشعراء والحكماء .. وأصبحت الحكمة كأطلال المعابد ولكن هؤلاء الحكماء حملوا لواء العدل وجهروا في صلاتهم بكل آية بما ورثوا من دين العدل وتعالت صيحة الحكماء من كل صوب ومن

الحكماء المشرعين من حرم الذهب والفضة فى مدينتهم كما حرمها ليكورج على الاسبارطيين وسيحذو حذوه أفلاطون فيما يعرض من اصلاح الانسانية والسياسة لسبب بين وعو أن من يضع الذهب والفضة في كفة ويضع الفضيلة والتهذيب في كفة فستشيل كفة الفضيلة وتغلب كفة المال .

صراع المال والعدل

قد قرأنا ما قاله هيزيود في العدل وما كتب صولون في العدل : آفة سعادة الانسان ان يمحو حب المال آثار العدل في نفسه .. ومن تبع هذين من شعراء القرن الخامس وفلاسفته افاضوا جميعا في وصف هذا الصراع .. والمسألة ليست مسألة زمانية منحدرة من قَطْر فسيل فنهر جارف على العلم ان يمضى في أثرها جيلا بعد جيل .. فهي فى ظاهر ما يقولون داء قديم جرف فى أساطير الاولين أمما قصرت أى تقصير فى تهذيب أبنائها تهذيبا أريستوقراطيا أى رياضة الابدان وموسيقى العدل .. ولدينا شرح مستفيض فيما نكبت به الانسانية من تحول من ذروة السعادة الى الدرك الاسفل من الشقاء يوم عشيت بصيرة الانسان بحب المال وهو تحول كالذى بينه هيزيود في تحول أجناس الانسانية من معدن الذهب الصافي الى معدن الحديد الكدر القاسى ، وسقراط يعرض صورة التحول من الاريستوقراطية العادلة الى حكم الطاغية الشقى الاثيم وهذا التحول ظلمات بعضها فوق بعض حكومة الطاغية أحلكها ظلاما ، وفي أعماق هذه الآلام الانسانية درجات من الايمان بالذهب والفضة ، وقبل أن ندخل في حديث سقراط أى في ذروة الصراع بين المال والعدل نقف قليلا عند أولياء العدل أنفسهم الذين غزا قلوبهم سلطان الذهب والفضة كما يقول بندار .

« ان الاقدمين يا ترازيبول الذين ركبوا عربة ملهمات الشعر والموسيقى – اللاتى
« زين شعرهن بمقابض من ذهب – قابضين على قيثاراتهم وعزفوا على أوتارها
« أناشيد الشباب وهي ذات مذاق حلو كالشهد ... وكان شبابا جميلا يذكر بثمار
« أفروديت الشهية الجالسة على عرش سعيد » .

« ذلك بأن ملهمة الشعر لم تكن اذن تحب كسب المال ولم تكن سلعة للبيع
« والتجارة ولم تكن نيرات موسيقى « تيربسيخورا » التي كانت شهية سائغة كالشهد
« تباع وتشترى ولم تكن ذات قناع من فضة ، كلا بل أغانيه عذبة النغم » .

« والآن يدعونا أن نحفظ قول رجل من أرجوس .. وهو قول شبيه بالحقيقة « الواقعة .. (لا يساوى الانسان الا ما ملك من المال) ... (الانسان ليس شيئا الا ما ملك من مال) .. وبذلك فقد نفسه وماله « وأصدقاءه » .

دخل المال معابد العدل ودخل المال على أعز ما خلق العدل من شيء أى قيثارة العدل ودخل المال على أسعد حكومات العدل أى حكومة الاريستوقراطية وأصبحت مدينة العدل الاولى دينا ..

ومن نشأ فى حكومة اريستوقراطية كان خيرا عادلا . ثم يؤتى هذا الخير والعدل من مأمنه اى من نفس الانسان الخير العادل .. حسب هذا الانسان العادل الخير السعيد أن يفرط أى تفريط في مواقيت الزواج .. فيولد أبناء لا يشبهون آباءهم.
« ليسوا كآبائهم نبلا وفضلا - ويولى هؤلاء آباؤهم حكومة المدينة فيخلفون فى الحكم
« آباءهم وهم غير أهل للحكم ثم لا يلبثون أن يقصروا في واجب الملك والحكم ولا
« يولون تهذيب الموسيقى ما ينبغى له من حق ويقدمون على تهذيب الموسيقى رياضة
« الابدان .. وبذلك يصبح شباب الامة أقل علما وتهذيبا يحكمون وهم غير أهل لأن
« يكونوا حراسا للمدينة ولا يميزون بين أجناس الانسانية التى تحدث عنها هيزيود
« أى جنس الذهب والفضة والنحاس والحديد وانما يخلطون الحديد بالفضة
« ويخلطون النحاس بالذهب .. وهذا الخلط يخلق الفوضي في القوانين والمساواة
« والهارمونية .. وحيثما كانت هذه الفوضى ولدت الحرب والعداوة وهذا هو مولد
« الشقاق حيثما وجد . »

وشر البلية أن ترقى الانسانية الى ذروة السعادة فتؤمن بالعدل .. وتتخذه دينا ثم لا يلبث الانسان وذريته أن يؤثر على سعادة العدل ثراء الذهب والفضة ويقوم اذن بين الانسان وبينه ويلات العداوة والحرب .

« واذا تصدع البناء شد كل جنس من ناحيته فالحديد والنحاس يدفعان
« الى اقتناء المال والارض والبيوت المزينة بالذهب والفضة .. أما جنس الذهب
« والفضة (أى الاريستوقراطية العادلة) فلا تحفل بالذهب والفضة لأنها غنية
« بنفسها غير فقيرة الى شيء فتستمسك .. بالفضيلة والنظام القديم ، واذا اشتد
« النزاع بين الطائفتين ، طائفة العادلين من ناحية وطائفة أنصار المال من ناحية
« أخرى .. جاءوا الى حل وسط فقسموا بينهم البيوت والارض .. ويتبدل الحكم

« عند هؤلاء الحاكمين ، كانوا قبلئذ يحكمون قومهم كأنهم أبناؤهم وأصدقاؤهم الاحرار
« فاتخذوهم عبيدا . عاملوا المحكومين كأنهم أغراب وخدم .. وأصبح الحاكمـــون
« لا هم لهم الا الحرب وحراسة ما يملكون . »

★★★

وفي تصوير أفلاطون تحول من آمن به آباؤهم وأجدادهم جبرة الى رذيلة مستحدثة يرتكبها أولاد العادلين سرا وهم يحبون المال حبا جما ويعبدونه خفية ويحفظونه في ذخائر وكنوز خاصة ليخفوه عن أعين الناس ، ويعتصمون في منازل قاصية كعش الطير لينفقوا مالهم على النساء أو على من أحبوا من الناس ..

وهم بخلاء يبخلون بأموالهم لانهم يعبدونها ويخفونها عن الابصار ويحبون أن ينفقوا أموال غيرهم ليستمتعوا بلذاتهم ويرضوا شهواتهم سرا كما يفعل الاولاد الذين يخافون عقاب أبيهم .. لم يشبوا على الاقناع والاصغاء لربة البيان الحقيقية التي تقنع بالمنطق والبيان والحكمة .. وينزلون رياضة الابدان في منزلة فوق موسيقى البيان والحكمة .

★★★

لا يزال حب المال يستشري في نفوس الناس حتى تسول لهم أنفسهم أن يخرقوا القوانين أو يتخذوها أداة لمآربهم يحرفونها عن مواضعها ولا يقدسونها هم ونساؤهم ، وتتعدى هذه الآفة الى نفوس عامة الناس .. وكلما ملكهم حب المال تضاءل في قلوبهم حب الفضيلة .

« ألا ترى الخلاف بين الفضيلة والمال .. خلافا لا ينتهي وان وضعت المـال
« في كفة والفضيلة في كفة فهما ينزعان كل الى ناحية عكس الاخرى .. فاذا مجد المال
« والاغنياء في بلد لا تمجد الفضيلة والخير واذا مجد المال في بلد انتهوا الى ان
« يختاروا حكومة تدعى حكومة الاغنياء ... من ملك قدرا معلوما من المال دخل في
« حكومة المدينة وحرمت السياسة على الفقراء ويمجد الغني ويحتقر الفقير وينقلب
« الاغنياء والفقراء بعضهم لبعض عدوا ... وحيثما مجد المال حتى أصبح أساسا
« لحكومة الاغنياء ... صارت المدينة تحمل في باطنها السائلين المحرومين والنشالين
« وسراق مال الله . » .

وشدة الحرص على المال وشدة الخوف من الفقر تزرعان في النفوس البخل والشح واحتقار المكارم والشرف . فقد تصب كل أمرىء فوق عرش ضميره اله المال الاعمى وتوجه بتيجان البطولة ... وقد تسطو مع الجهل وحب المال جيوش من الرذائل على ضمائر الشباب وهى خاوية من التهذيب والعلم ... وتوصد حصن الضمير فلا تأذن لحكمة الراشدين ولا لنصح الناصحين ... وحكومة المال تجعل الاغنياء والفقراء عدوين يتربصان بعضهما ببعض دائرة السوء حتى يفلح العامة يوما أن يثوروا ويفرضوا حكومة المساواة ويجرهم هذا الصراع الداخلي الى حكومة الطاغية الذى يأكل مال الغنى ولا يرعى حرمات العدل في شيء .

« اليس من دأب الشعب أن ينصب من بينه زعيما يغذيه وكبر سلطانه ـ
« هذا هو دأب العامة .. وحيثما نبتت حكومة الطغيان والهول فهي لا تنبت الا من
« جذور هذا الزعيم ولا تنبت من شيء آخر .. هذا حق ... كيف ينقلب هذا
« الزعيم الى طاغية ... أليس ذلك حين يبدأ هذا الزعيم فيفعل ما تقول أسطورة فى
« معبد زيوس فى آركاديا ... وماذا تقول هذه الاسطورة ... من ذاق كبد انسان
« بين أكباد ضحايا أخرى ، فانه ينقلب ذئبا لا محالة ... ألم تسمع بهذه الاسطورة
« ... قد سمعتها ... وهذا الزعيم ان تفانى العامة فى طاعته فلا يتعفف عن أن
« يلفظ فى دماء أبناء قبيلته فيتهمهم ظلما وهذا ما يحبه زعماء العوام ... فيحكم
« عليهم بالموت ويقضى على حياة رجل ويلفظ بفم آثم ولسان ظالم في دم قومه وينفى
« ويقتل ويلوح بالغاء ديون العامة وبتوزيع أراضي الاغنياء بينهم ... ألا ترى أنه
« كتب على هذا الرجل أن يلقى أحد المصيرين ـ فاما أن يقتله أعداؤه .. واما أن
« ينقلب طاغية وذئبا ... لا مفر من ذلك ..... وو الذى يشن على ذوى المال
« الحروب . » .

★★★

حب المال أساس ما أصاب الحياة من شرور والعدل أساس ما أدركت الانسانية من سعادة ونبوغ وخير . وهذا هو أساس التراجيديه .

★★★

أزمة الصراع بين تهذيب المعابد

وتعليم السوفسطائيين

ما نستبين من دين أشيل فيما بقى من شعره ، ومانستبين من دين سوفوكل فيما بقى من آثاره يعلمنا أن شعر التراجيدية الآثينية كان قبل سقراط في أوج كماله بقيثارة هذين الشاعرين — فقد كان كلاهما بطلا قديسا من قديسي العدل وحملة آداب المعابد . قد بلغا فى أثينا مشارف المثل العليا فى تهذيب النابغين وكان كلاهما اماما لكوروس الرقص والغناء في أعياد « ديونيزوس » التى تعرض فيها ثمار الشعر والموسيقى .

وشابهت أعياد « ديونيزوس » فى آثينا بعض ما يقدس الاغريق فى أعياد الالعاب الاولومبية التى يعرض فيها ملوك المدائن وأمراؤهم أجمل ما بلغ الانسان من بينات الجمال والخير ... ويتوج السابقون الذين تفردوا بالجمال والخير وحفظوا سنة تهذيب معابد العدل وشابهوا ما حفظت المعابد والاساطير من سير أبطال الانسانية الخالدين ... واختارت آثينا في هذه الايام أن تقيم الصلاة فى أعياد « ديونيزوس » بأروع بينات الشعر والموسيقى والرقص وتتوج أنبغ الشعراء بتاج الابطال من ذرية العدل — وشابهت التراجيدية دين الابطال الذين حفظوا ميراث معابد العدل والتقوى فما زالت تردد أسلوب الاساطير وتذكر الانسان بقوة الآلهة وضعف حيلة الانسان مهما بلغ الانسان من البأس والقوة ...

واختارت الديمقراطية الآثينية الشعر والموسيقى لتهذيب ملئها ووضعت صفوة شعرائها فى منزلة المعلمين الذين يعلمون العدل والخير ، وحينئذ نبصر المكلفين بتهذيب الديموقراطية الآثينية شيعا وأحزابا متنافسين ... فشعراء التراجيدية يقصون أنباء من خلا من الملوك والابطال وينشدون شعرهم في أسلوب الاساطير ... ليتعلم الانسان من آلام الذين غرتهم أنفسهم فجاوزوا موازين العدل فحق عليهم العذابوقد يفقه أشراف الآثينيين ما تضمر الاساطير من تهذيب العدل والخير ، ولكن عامة الآثينيين وشباب الآثينيين المتعجلين الى مناصب الحكم لا يفقهون حديثا مما تقول الاساطير في شعر التراجيدية ، فتولت « الكوميدية تهذيب المدنية بالافصاح الصريح عن العيوب المهددة لسعادة المدنية ، فما كان رمزا في أدب الاساطير في شعر

التراجيدية أصبح حديثا سياسيا في صميم أخطاء الآثينيين ولو تنكرنا في شعر التراجيدية والكوميدية لوجدنا بينهما تعاونا فى تهذيب الديمقراطية ... غايتهما واحدة وتفسر الكوميدية ما غلب من رموز الاساطير فى شعر التراجيدية .

وينهض بجانب الشعراء فلاسفة يوجهون المنطق والعقل وجهة غير التي يتجه اليها عامة الفلاسفة السوفسطائيين ، فسقراط ينفذ بعقله ومنطقه الى ضمير العدل والخير فهو يؤدى بالعقل والمنطق ما تؤدى أساطير شعراء التراجيدية أى سعادة العادلين ودمار الظالمين ... وما هال الديمقراطية الآثينيـة فى القرن الخامس « ق.م. » الا أن يميل عامتهم وشبابهم ميل معلمى الخطابة والسياسة الخارجين على الموروث من دين العادلين : وهم مؤمنون هم وتلاميذهم أنهم أصلح المعلمين وكان الصراع بينهم وبين معلمى آداب المعابد أى شعراء التراجيدية والكوميدية وسقراط صراعا دينيا ... وحدة هذا الصراع جاءت من حرص السوفسطائيين على غزو ضمائر شباب المدائن بسراب خلاب من النجاح والنصر ومغالبة الحق بالباطل وحرص المؤمنين بالعدل على الابقاء على سعادة الانسان وتهذيبه بما ورثوا من آداب العدل والخير ...

وما يزالون يتصارعون حتى تسكت أصوات المعابد ويهيم الانسان في الاسواق لا يبتغى الا ما يصيب من رزق وما يكسب من مال ويصبح العلم بيعا وتجارة .

★★★

كيف تولت التراجيدية بعد شعر هومير تهذيب ضمائر الآثينيين وكانت صدى لما علمت معابد العدل والخير فيما خلا من الدهر ... كان شعراؤها قديسين مؤمنين ، يؤمون أمتهم في صلاة العدل والخير ... والصلاة جامعة تجمع الآثينيين في أعياد التراجيدية لأقدس ما يجتمعون له ... ويزكيهم شعراؤهم وتطهرهم موسيقى العدل وتعلمهم الخير والحكمة وما اتخذ الآثينيون أعياد التراجيدية لهوا وسمرا بل جعلوها أقدس مقدساتهم اجتمعت فيها صلاة الخير وتقديس الوطن وأبطاله وشرف الذين اختارتهم المدنية ليقيموا هذه الصلاة كان في أعينهم أعز شرف يبلغه النابغون فيهم وقد أولت أثينا صلاة التراجيدية أكبر همتها وحرصت على أن تعصم مجد التراجيدية التى كتبها شعراؤها من فناء الدهر ... فسنت قانونا يجعل لها أهم نصيب من أشغال المدينة ولما أفل نجم المدينة سارعوا لينقذوا هذا الكنز من الفناء فجمعوا

شعر التراجيدية في كتاب ، لأنها كانت موسيقى معابدهم وأبلغ صلاتهم ومنها انحدرت فنون مدينتهم وهي أم الفلسفة وأم الخطابة ومدرسة الحكمة والسياسة .

وما كان حرصهم على آثار التراجيدية الا كحرص بناة المعابد على أن تحفظ المعابد أعز ميراث ما بلغوا من آيات الجمال والخير . ومثل العدل الاعلى ميراث للانسانية من كل جنس كالشمس اذا أشرقت تمد شعاعها وضياءها بالخير للعالمين كافـة .

وقصص الاساطير صيغت بفنون من ميراث معابد العدل والخير ، والشاعر نابغة الموسيقى ونابغة التصوير اذا ينفذ بأنامله الى أسرار السرائر ويصور الامل والخوف والهلع ويصور كبرياء القادرين وعجز الانسان اذا القيت عليه شباك الاقدار ونجاة الانسان في مطالع السعادة ــ ان يستمسك بيد الله والعدل .

ويبلغ علم شاعر التراجيدية علم نبو المعابد بعلم أسرار العدل وعاقبة الامور ويهدى الانسانية في مجاهل الغيب ، وصولون مشرع الديمقراطية الأثينية كان شاعرا نبيا نبأ قومه بعاقبة البغي اذا بغى بعضهم على بعض ، وشعراء التراجيدية في القرن الخامس كانوا فقهاء العدل كما كانوا ورثة المعابد فنبئوا قومهم بصرعة البغي وضعف الانسان الا من آمن بالعدل ، وصيغت التراجيدية من صميم حياة الأثينيين وصميم صنعهم وقوتهم وسعادتهم وشقوتهم واذا فسرت الاساطير التى تطرق السمع والأبصار بعبرة من خلا من الحاكمين ــ يومئذ تبقى من صراع التراجيدية أهم ما أهم ضمائر الأثينيين ايام شعرائهم الماجدين ، وتفسر الكوميدية أسرار الاساطير وتفسر فلسفة سقراط وأفلاطون بالعقل والمنطق خفايا رموز الاساطير ويكتب تاريخ أثينا شعرا ونثرا فتجلو مرآة الاساطير ضمير الأثينيين خاصة ويصبح تاريخ توسيديد تراجيدية اثينا التى لا تحجبها عن اعيننا أحاديث الاساطير .

كل قوة جاوزت حيلة الانسان ادخلتها المعابد والاساطير في عدة المقدسات ... الحب اله مقدس ... الوطن اله مقدس ... وما تستطيع الحكمة من بصيرة وما يلد العدل من سعادة وما يلد البغى من شقاء وما يسلط على الانسان من غواية وما يملك الاغراء والاقناع من قوة كل ذلك جعلته أساطير المعابد قوة الهية غالبة .

وملهمات العلم والموسيقى قوة الهية تعلم الانسان ما كان وما يكون وقدست بذلك اساطير الشعر التي تنبىء بالغيب وتهدى الانسان سواء السبيل .

كان الشاعر فيهم نبيا ، يعلم غائلة البغـى والجور ويعلم سلامـة الخالدين والتراجيدية فى آثينا كانت تنبىء بالغيب وتفسر عاقبة الامور ، وهم عند بعض المؤرخين فقهاء العدل مشرعون كمشرع ديموقراطيتهم صولون ـ الذى سن لهـم قانونا يجمع شملهم ويفشي السـلام فيهم ويجزى العاملين النابغين شرف جهدهم ونبوغهم ، وعلمهم أن القانون لا يصلح الا بدين العدل وعو ان قرأنا شعره علمنا في أى صورة يصور بها شعراء التراجيدية دورة القدر ونوازل الجور والبغى : قال صولون :

« ان مدنيتنا لن تفنى لأن زيوس اراد بها أن تبيد ولا تريد بها الفناء ارادة الآلية السعيدة ، فان باللاس أثينا ذات القلب الكبير بنت الاله القوى العزيز ترعى مدنيتنا وتبسط فوقها يديها ولكن هذه المدنية العظيمة لن تفنى الا بارادة أهلها ، اذا عصوا الحكمة وابتغوا شهوة المال ... ويغنيها زعماء العامة بقلوبهم الظالمة الذين يغويهم الجور حتى يجزيهم بجورهم عذابا أليما . انهم لا يعرفون أن يكبحوا شهواتهم ولا يقنعون بما لديهم من نعمة العيش والسلام بل يستجيبون لما يستكثرون من الحرام . » .

« انهم لا يكفون أيديهم عن مال الله ولا يرهبون مال الدولة بل يملؤون أيديهم نهبا كل أمرىء من جانبه ولا يهابون عرش العدالة المقدس التى تطلع وتعرف ما كان وما يكون ثم تهبط مرة واحدة لتسأل الظالمين الحساب ... يومئذ يصيب المدينة جميعا قرح لا دواء له فيسرع اليها الذل البغيض وتستيقظ فيها نار الفتنة والحرب الاهلية التى تأكل كثيرا من شبابها المحبوب وسرعان ما تعانى المدينة السعيدة ما يضنيها من جرح عزيز على الظالمين ، ثم تدور البلايا على المدينة ويهاجر فقراؤها أفواجا ... يباعون عبيدا ويسامون الخسف والهوان ، وهكذا يدخل بلاء الوطن على كل دار ولا ترده أبواب الحظائر ثم يثب على البروج العالية لا ينجو منه أحد ولو هرب في أعماق الحجرات . » .

« ذلك ما حفزنى قلبى أن أعلمه الاثينيين ان فوضى القوانين تجر على المدينة بلايا كثيرة والقوانين العادلة تنبت الخير جميعا . فهى تضع في خطى الظالمين قيودا وتيسر العسر وتذلل البغى وتميت الجور وتيبس زهور الخطيئة اذا نبتت وتقوم

عوج القضاء المعتل وتراب الصدع وتميت الفتنة وتقطع مرارة الخصام الأليم وهى التي ولدت كل ما عرفت الانسانية من وئام وهارمونية وحكمة . » .

★★★

ما اصاب العدالة من تصدع في نفوس المؤمنين يصد عن ذكر الله ويصرف الانسان عن معابد العدل والخير ويحرف القوانين المقدسة ويهدم صرح الديمقراطية التى أحب صولون أن يبنيها على العدل والخير كدين المعابد ... وما يغنى عن أمة ثراء المال والنصر اذا لم يتخذوا وطنهم معبدا للعدل والخير .

وقد نهضت التراجيدية في القرن الخامس لتنشد دين العدل والخير ولتعصم الوطن المقدس من أن يبقى فيه نبات الاثم والظلم .

انا نشهد حكماء الاثينيين الذين شبوا على دين العدل يدا واحدة يدعون الى دين واحد ، وكانت التراجيدية في شعر أشيل وسوفوكل أبلغ بيان هذا الدين ، وعلينا أن نفسر ما قد يغيب عنا من رموز الاساطير بما فسرته الكوميدية صراحة وما علمت فلسفة سقراط وما كتب توسيديد عن حرب البيلوبوتيز بين آثينا واسبارطة .

★★★

« معابد العدل والخير »
« آثار سوفوكل »

ما أبقت المعابد من آثار الاولين قد يفسر أوله آخره لأن غاية الصلاة واحدة بين أمم مؤمنة بدين العدل والخلود ، والذين استبقوا الى المثل الاعلى بصلاة العلم والفنون خصوا معابد آلهتهم وابطالهم باصدق ما احسنت ايديهم وبيانهم من شيء وكان التهذيب الرفيع والحكمة وما بلغ المهذبون من مجد العلوم والفنون ذخيرة الابد واصدق ما يقربونه الى الله والى أرواح ابطالهم .. فابطال السلف الخالدون أبدا في جزر السعداء لا يسعدون بشيء أكبر من أن يحفظ الخلف وصايا السلف ولا تضيع فضيلة السابقين ، وآمن أبناء الأبطال أنهم ان حفظوا فضيلة آبائهم لحقوا بهم ، ورضي عنهم آباؤهم وسعدوا بهم وشر ما يصيبهم أن يضيّع الولد شرف أبيه ولا يحفظ فضيلته بتهذيب شريف وعمل مجيد ـ فاذا قتل الولد أباه فشر القتل أن يضيع دين ابيه التقى العادل ، ويتخذ البغى والتجبر دينا ، فان أوغل فى السوء رمى الاولون الآخرين بلعنة لا تعقب الا بلاء ، ومن صلح من البنين قدموا ما أحسنوا من صنع الى رحاب معابد الآلهة وابطال الاولين .. فى رحاب المعابد رجال يتسابقون فى الفروسية والعاب الابطال .. ورجال يتسابقون فى الموسيقى والشعر .. وكل نبوغ يرد الى الله ، ويجنى ثمار النبوغ رجال ينتسبون الى من خلا من أبطال يتزينون بالعدل والتقوى ، ويجنون ثمار الفضيلة من أعلى نباتها ولا بد من تحت تماثيل تمكث حية خالدة .

الشاعر الحق اذا مست أنامله زهرة خلد ذكرها ومحياها ، فاذا ذكر ديار آبائه وأرباب قدره وحياته جعلها كما يقول المترجم الفرنسي « نشيدا دينيا رهيبا يسعى في رحابه المقدسة بطل من ابنائه الذين رفعوا ذكره في العالمين » والموت في دين سوفوكل باب الخلود : قد فصل سوفوكل كثيرا مما خفى علينا من أسراره وكان سر عبادة الابطال في دين الاولين .. اذ يجمع مدائن الاغريق ليتسابق ابطالهم ايهم يحمل الفضيلة كما حملها من خلا من أبطال الاثينائية ، وخير صلاة يقيمها الحى للميت ان يحفظ الحى شرف من خلا من الابطال .. والذين يفلحون في حفظ الفضائل

المقدسة يتهذبون بتهذيب ارباب العدل والعلم والفنون .. ولهم في هيرقل أسوة حسنة وفي ايسكولاب (رب الطب) وفى ثيستور بطل الرأى ، وفي رجال كانوا حماة حمى ما ارتفعت اليد المدنية .. وقد عجب المحدثون اذ يرون الاغريق يقيمون الالعاب الالومبية في رثاء أبطالهم .. لان الابطال خالدون بأرواحهم لا تسعد أرواحهم بشيء أكثر من ان يُبقى الاحياء ما أورثهم أبطالهم من آيات البطولة والفضل ـ فضائل الاحياء ترضى سلفهم الخالدين واذا مات ميت دخل مع السعداء في جزر السعداء واستقبلوه كما يلقى الحبيب حبيبه .

كانت آداب هومير وبندار وسوفوكل وأمثالهم آثارا « Monuments » كآثار معابدهم .. ولم يحدث سوفوكل عن علمه كيف يكتب هذه الآداب الخالدة ... ولم يتحدث عن بناء تماثيل أبطاله وصراع الجور والعار .. ولا نعرف كثيرا ممـا كانوا يفعلون في سرهم وجهرهم ونحن نخوض في أسرار نفوسهم عسى أن نستبين سر القوانين التى كتبت لآثارهم بقاء الخلود .. ويبرر مسعانا حاجتنا الى فهم ما حجبت الايام عنا وخاصة فى فهم فنون النحت والموسيقى والبيان .. ومهما حدت بنا الامانة والداب وتقصى أسباب كل شيء فقد نعلم شيئا وتغيب عنا أكثر الاسباب .. ولكن يقربنا الى أسرار سوفوكل ونوابغ هذه المدنية أعمالهم اولا ثم تشابه دينهم وتهذيبهم وآمالهم في الحياة والموت وفلسفة المعابد التى حفظت أكثر أسبابها فلسفة افلاطون قد تجلو لضمائرنا أكثر ما نبتغى في فهم هذه الآثار التى زينت بصدقها معابـد الآلهة والابطال ، وظلت خالدة ، واذا هذبت بتهذيبها أمة حرة مؤمنة انبتت فيها رجالا ماجدين بنوا فى ضمائرهم معابد العدل والعلم والفنون ، وآمنوا ايمان من خلا من ابطال معابد العدل والخير .

فى رحاب المعبد موسيقى تؤم صلاة المؤمنين .. ويطمع شعراء المعابد ان يأتى شعرهم بآيات تجمع فى صورة خلق النحت واسرار الكتابة المقدسة وخلود الحكمة ونفوذ الشعر والموسيقى في ضمير السامعين الى عالم الحقيقة والصدق ، والى صدق آيات الله .. هل صيحات الذين ينادون الله اذا هزهــم جمـال ما يتلى عليهم من شيء يقربنا من آثار معابد الاولين كلما شهدت أبصارهم أثرا من نقش مقـدس وطربوا بأثر من الموسيقى المقدسة أشرقت فى ضمائرهم شمس الصدق والحق والايمان .. ماذا يريد بندار من قوله :

« لست صانع تماثيل فاصنع تماثيل قائمة ساكنة فوق قاعدتها .. كلا ولكنى اصنع اناشيد تسرى مع كل سفينة مبحرة » .

انه لا ينفى عن نفسه القدرة على صياغة التماثيل وانما يفرق بين تماثيل منحوتة في الصخر او مصبوبة في معدن مستوية على قواعد وتعبر صامتة عن مكنون نفوس من صيغت لهم التماثيل .. فهى معبرة تكاد تنطق ـ واحتملت النقوش صورا تكاد تنطبق ، ثم دعا صانع التمثال ربه أن يبث من روحه روحا ناطقة تجعل تمثاله حيا ولما أوتي بغيته أحب تمثاله وعز عليه الا يبقى تمثاله حيا أبد الدهر لا يعتريه الفناء حتى وجد باب الخلود وهو الجد بالعلم والفكر والجمال الحق حتى يتشبه بقوانين الابد الصادقة .. وبلغ الانسان مأربه وصاغ من الفكرة تماثيل لحقيقة أبدية لا تموت وجعلها ذخيرة الابد وكنوزا خالدة اجتمعت في نفس واحدة مواهب أرباب صياغة التماثيل وارباب البيان والعلم والحكمة ومعجزة الموسيقى وسخرت كل هذه المواهب لتهذيب الانسان .. وصلاة الخالدين (اذا بلغ الانسان اجله .. فيبقى البيان واناشيد الذاكرين جمال ذكره وافعاله) .

★★★

انما تغمر موجة الموت غفلة من لا ينتظرها وتغمر بيانا من ينتظر ولكن المجد يلحق من يرفع الله لهم ذكرا جميلا لا يفنيه الموت .

المثل الاعلى فى فن النحت والنقش صور ان زحزحنا عنها بالعقل ستارها فتحت على العقل والقلب ابواب الحقائق الابدية التى يقيم ما أبدع الله من جمالها في ضمائر العالمين صلاة الجمال والخير .. وفتحت على العقل آيات الله بالاقناع الحر الرحيم ورفق الفن وسحر الموسيقى لا اكراه في دين العقل والجمال والخير .. ثم أتم الشعر والموسيقى فيما نعلم من أرباب الخالدين ما قصر النحت عن ادراكه وهو أن يقيموا فى آدابهم تماثيل ينحتونها من معدن افكار من يريدون أن يصوروه .. حتى اذا ألقى الينا فكره ومكنون نفسه بدت لاعيننا صورته كانما نبصره وتهتز لبطولته

ضمائرنا او تأسى على ما تردى فيه من نقص وعار ، واجتمعت مع بلاغة التصوير بلاغة الموسيقى التي ورثوها ـ فما يعبر عنه بندار كان امل النابغين بتهذيب المعابد وهو اقرب أن يفسر لنا موسيقى سوفوكل وآثاره .

« ياقيثارة الذهب التى لا تنطق الا بموسيقى أبولون وموسيقى غانيات زيوس ذوات الجدائل المعقودة بطوق البنفسج .. لا يسمعك الخطو حتى يبدأ الرقص والطرب ويتبع الغناء وقع موازينك تشدو نبراتك صوت الموسيقى التى تقود مواكب الرقص والغناء وأنت تطفئين أعين الشهب فى النار التي لا تموت .. وتثملين نسر زيوس فينام فوق عصا ملكهويلقي جناحيه السريعين ذات اليمين وذات الشمال ، وعلى ملك الطير تلقين سحابة كثيفة فوق رأسه المقوس فيطبق جفنيه على نوم سعيد فيتمطى بسحر وقعك وموازين شدوك ، واله الحرب القاسي يطرح عن نفسه سنان حرابه ويثمل قلبه بخمرك ، وموسيقاك تثلج أفئدة الآلهة السعداء بفضل فنون أبولون وعلم الغانيات ذوات الثياب المرسلة » .

« وأعداء الله يفزعون منك اذا سمعوا دعاء الملهمات فى البر والبحر ، لا ينبع أحد الا باذن الله المنعم الذى انعم على النابغين بالعلم والقوة والبيان ، فهى موسيقى العدل التي تنشر السلام والحب بين الناس ، وهي موسيقى الرقص وأناشيد الابطال ونشوة الفرح .. وتنسى الحرب والنقمة وتفزع أفئدة الظالمين . ولم يحرص شعر سوفوكل على شيء أكثر من أن يثمل قلوب قومه بالمحبة والعدل والسلام ، ويرضى الآلهة والابطال بأصدق الخير والصلاة ، ويحذر الظالمين أنفسهم » .. والشعر قرين الموسيقى ، والشدو دل على ما حجب الدهر من قيثارة سوفوكل . ولا ريب أن موسيقى سوفوكل كانت كأسلوب سوفوكل فى الشعر ، وكانت شفافة معبرة عن أبسط قوانين الفنون التي ارتقى اليها الاسلوب الاتيكي لا تسرف فى شيء ولا تفسد أصدق قوانين النغم ، ويعبر أريسطوفان عنها بكلمة أقرب الى معنى الشهد ـ أغان عذبة كالشهد فما يجد أريستوفان من نعم السلام فى آتينا أطيب من ثمرات العمل وثمرات الفضول وكرم الضيف وأعياد ديونيزوس فى الموسيقى ـ الناى والتراجيدية وأغاني سوفوكل الشهية .

★★★

ولا جرم ان فرقتنا بين موسيقى السمع التي تصبها على أسماعنا وحواسنا اصوات المنشدين ونبرات القيثارة والناى ودوى الرقص والطبول ـ وبين موازين الخلق والبناء التي تبنى على هارمونية موسيقى صامتة عميقة والتي لا ندركها الا بالفهم العميق والقلب وهي فى خلق ما أبدعت أيدى العاملين وفى صدق الفكرة والبيان . والمثل الاعلى فى الموسيقى هو بلوغ المثل الاعلى في خلق الفنون وهي التي عبر عنها أفلاطون فى تهذيب الجسم بالموسيقى والرياضة البدنية بموازين محكمة لا يبغى بعضها على بعض . ومن يحكم هده الموازين كان عند أفلاطـــــون أبدع موسيقى .. وهذه الموسيقى فى جيوميترية الخلق ما زالت قائمة فى بناء الفكرة وبناء العمارة وكل ما خلقت أنامل الخالقين في هده المدنية من آيات الفنون .. وما زالت فكرتهم تثير أعمق الموسيقى كلما أدركنا أعماق مكنونها وجوهر حقيقتها .. والمثل الاعلى فى هذا الخلق هو ادراك جمال أبدى ببصيرة القلب والعلم ، وكلما تفتحت أسرار الجمال فى شيء صحب هذا الادراك طرب .. لا يلبث أن يـزول ان طربت نفوسنا بعرض يزول ـ لكن مدارك الحقيقة التامة الخالدة الثابتة تثير طربا .. لا تحده حدود ، وبفكرة هؤلاء الخالدين أدركت أعمق موسيقى ـ والعلم يستحث الخطى ليحظى بطرب خالد لا يزول . ان قرأ سوفوكل أو فهم أسرار المعابد في نقشها وصورها . والموت لا يقطع أوتار موسيقى الخالدين فى الفكرة والفنون والعمارة والدين أورثونا اساطيرهم من قصص قد يقص أصدق أسرار هذه الموسيقى : نساء تيسالى قطعن رقبة أورفيوس رب الموسيقى ، فتدحرجت رأسه وهي تصدح بالموسيقى مثلما صدحت حية في عمر أورفيوس فى ظلال المعابد . وآثار سوفوكل ان سلطنا عليها العقل والفكر تسمع ما أسمعت فى عمر الخالقين فى صمت الفكر أعمق موسيقى الجمال والخير .

هذا الامل فى أن يبقى الانسان آثارا لأبد الدهر كان أمل ابطال المؤمنين الذين أقاموا معابدهم للصدق والحقيقة ابد الدهر ، وهؤلاء الابطال فى أغمار الحياة الخالية أبقوا للانسانية دينهم وأدبهم لجد الحياة والموت وحرصا على سعادة بنى الانسان . ومن أراد أن يعقل حكمتهم فلا يقربها الا بطهر المؤمنين وصدق العالمين ـ وكل شيء

كتبوه أو نقشوه كان ذخيرة الأبد ومن هذه الذخيرة آثار سوفوكل التي تقوم معابد في ضمير العالمين أبد الدهر ومن يقرب آثار سوفوكل كصلاة معابد الابطال فلا يهوله أن نبدي ونعيد فى تلاوة آيات الصدق والعدل والخير ، وأن ندخل فى محراب العادلين ونهتدى بكل من يلقى شعاعا يضيء ما قد يخفى من علم الله ومن آداب الخالدين .

سيختار الانسان فى عمر الزمان كلما أظلم الظلم تجربة أمة أثينا ويختار الديمقراطية ـ وللديموقراطية قوانين خالدة كقوانين الرياضة والحساب ، اذا نبتت العدالة أنبتت أسعد نبات الابطال العالمين ، وان فسد نباتها بظلم أو ضلالة انقض بناؤها ـ وفيما كتب سوفوكل وتوسيديد تجربة هذه الديموقراطية فى قوانينها الدينية الالهية الابدية التي لا تحتمل مثقال ذرة فى عمر الزمان ـ ومشروع الديمو ـ قراطية الاثينية قد ترك وصية كانت كنبوءة المعابد وكانت ذخيرة الصدق والعدل أبد الدهر .. وقد أبقى الدهر أثرا حيا من آثار سولون يفسر مصير هذه الديمو ـ قراطية ويفسر آمال سوفوكل فيما كتب سوفوكل للاثينيين قال سولون :

« ان مدينتنا لن تموت أبدا بقدر الله ولا بحكم الآلهة السعداء الخالدين ، فان التي ترعاها ذات قلب كبير وأبوها قوى عزيز ان أثينا باللاس تبسط يديها من فوقها وانما يهلك هذه المدينة العظيمة أبناؤها أنفسهم اذا جن جنونهم فهم يقتلونها بمحض ارادتهم اذا أغراهم حب المال ويفتيها زعماء العامة وعقلهم الظالم الذين يزهون بكبر منكر فيرديهم ذلك آلاما لا تحصى ـ اذا هم عجزوا عن كبح أهوائهم ولم يعرفوا أن ينظموا ما بأيديهم من نعم فوق مائدة آمنة راضية » .

انهم يطلبون ثراء المال ولا يكفون أيديهم عن الظلم والحرام ، لا يكفون أيديهم عن مال الآلهة ولا عن مال الدولة وينهبونها ويستبقون أيهم أكثر نهبا ولا يهابون عرش العدالة المقدس ، فالعدالة تمكث فوق عرشها صامتة وهي تحصى ما كان وما يكون ثم تهبط اذا جاءت ساعتها مرة واحدة لتنتقم ، حينئذ يصيب المدينة كلها قرح لا مفر منه فلا تلبث أن تقع فى قبضة الذل الاليم ، وتوقظ بين أهلها الشقاق والفتنة وتوقد بينهم نار الحرب من ركامها فيصلاها كثير من شبابها المحبوب ولا يلبث الوطن

العزيز أن يطبق عليه أعداؤه في مواقع عزيزة على الظالمين وتطوف البلايا على الناس وترى كثيرا من فقرائها يسامون الخسف والعذاب والذل فى بلاد غريبة يباعون ويكبلون بقيود مخزية .

وكذلك يلج البلاء بلاء الوطن كل دار ولا تصده أبواب القصور فهو يثب على بروجها العالية ويقبض على كل نفس ولا نجاة منه لأحد ولو هرب فى أعماق قاعته .
ذلك الذى حفزني قلبى أن أعلمه الاثينيين فان القوانين الفاسدة تنزل بالوطن مصائب لا تحصى والقوانين العادلة تبدى فى كل شيء الجمال والنظام والكمال وتسد السبيل على المظالم وتهون العسير وتقطع دابر الجشع وتقتلع البغى من أصوله .

وتيبس الجريمة النامية المزهرة وتقوّم الاحكام الملتوية ، وتقطع دابر التعالى والغرور وتقضى على الفتنة وتقتلع مرارة الخصام الاليم ، وهي في أصول كل ما خلق الانسان من جمال وخير وحكمة .

★★★

من يقرأ هذه القصيدة يجد دينا واحدا يجمع النابغين في حياة الديمو ـ قراطية الاثينية .. أى خطر تبيت الايام لمعابد العدل والخير .. يوم يكفر أبناء العادلين بدينهم ودين آبائهم فيقتل الابناء دين الآباء ويسيء الابناء الى شرف امهاتهم .. ويصور النابغون فى معابد الاولين صورهم رمزا كلغة الكتابة المقدسة ولغة الاساطير .. واختار سوفوكل لتمثاله صورة أوديب يوم بسط له الملك والعلم .

وللحكم والملك سكرة أدنى الى الجنون .. ويختار سوفوكل لتصوير هذا الجنون جنون أجاكس .. يقتل بسيفه أنعام الأنفال كما قتل زعماء العامة حلفاء الاثينيين الذين دخلوا فى ملكها ودينها طوعا ويظلم عقل الانسان فيزهى بكبر ويفرض فى الحكم ما يؤمن به عقله ويجعل ذلك قانونا ، من عصاه لقى حتفه ، وينسى الله وقانون العدالة الالهية ، ويختار سوفوكل لهذا المعنى سلطان كوبون وبطولة أنتيجونة ويؤتى الديمقراطية ومعابد العدل من آفة البغى وجشع المال الذى يحل حراما ويحرم حلالا .. وآفة التيرانية متصلة بآفة المال التي يتهم بها البريء والمسيء فى أداب سوفوكل وفي كل الادب اليوناني .. واذا استبدت بالنفوس المظالم والمطامع نفى صغيرهم عالمهم (كما نفى أوليس فيلوكتيت) ، فى آداب سوفوكل ــ وعاقبة المظالم كارثة وحرب بين فلذات الكبد ــ اذ يقتل الاثينيون بعضهم بعضا فى حرب

داخلية كما تقتل اليكترا وكما يقتل أوريست أمه في أدب سوفوكل ، ومن يشهد بأمته كل هذه المصائب ثم يرد الى أرذل العمر مهينا أعمى وقد شهدت حياته باطل المنى وكذب الآمال الانسانية والغرور . من كان مثل سوفوكل قابضا على دينه في عمر هذه التراجيدية فليس له من أمل الا أن يرد الى قريته التي هذب بدينها وآدابها ويرد الى أربابها وصلاتها ويموت حيث ولد في رحاب الصالحين العادلين كما صور سوفوكل ذلك في تراجيدية **أوديب في كولون** .

★★★

وما يتشبه سوفوكل بصولون في أدبه ودينه مثلما يتشبه الجاهل بالعالم والمتعلم بمعلمه .. يتبع الفاظه ويتصايح الغربان ولو فعل ذلك ما أبقى الدهر من آثاره شيئا .. فالشبه في آمال المشرع والشاعر في الديموقراطية الآثينية لم يكن محفوظات تتلى وألفاظا تتردد ، ولكنه شبه في الايمان والتهذيب والآمال وسمو الى أن تكون آثاره خالدة عرضا ولا تكون عرضا يلهو به السمع ساعة من نهار .

ومن يصدق أريستوفان في نقد يوريبيد وهجائه يجد بيت يوريبيد أقرب الى منازل الفنانين والممثلين في الزمان الحدث .. فيوريبيد لا يقيم تماثيل لابطال كأبطال المعابد كما فعل سوفوكل وكما فعل اشيل من قبله ولكنما يؤلف أشخاصا من المتسولين يلبس الشاعر ثيابا مهلهلة ليتقرب الى صور عقولهم .... ويقول أريستوفان أكثر من مرة هذه الفكرة .

ديكيوبوليس : يا يوريبيد .

يوريبيد : ايه الدوشه دى .

ديكيوبوليس : أنت تؤلف الشعر معلقا قدميك في الهواء . وتستطيع أن تثبتهما على الارض لا شك أنك تفعل ذلك لتصور الاعرج ـ ومالك تلبس ثيابا مهلهلة تثير الشفقة في التراجيدية ، لا ريب أنك تفعل ذلك لتصور المتسولين

ـ (ثم يكرر هذا المعنى مرة أخرى) .

اجاثون : يأيها الشيخ الكبير انى سمعتك تلومنى حسدا ولكنى لم أحزن لما قلت. انى ألبس ثيابا تلائم فكرتى التي أريد أن أعبر عنها ، يجب على الشاعر اذا

الف دراما أن يلبس لبوسها ويتمثل فى نفسه أبطالها فان أراد أن يصور دراما عن امرأة هز جسمه كهز النساء ٠

ربما يهاجم أريستوفان بدعة محدثة من خلق الممثلين وخطابة السوفسطائيين يتهكم فيها على ظاهر حقيقة هي ذات القربى بين مبادىء الشاعر ومبادىء من يخلق من أبطاله ٠ بين قلب الشاعر سوفوكل وقلب أنتيجونه دين مشترك من كره العار وخوف الآلهة ٠ وبين قلب سوفوكل وقلب تريزياس قارىء الغيب دين وعلم مشترك وهو دين عريق فى عمر الانسانية التي ألفت من قبله أن تتمثل تماثيل العدل والتقوى فى النحت والنقش والشعر والموسيقى ٠٠ وألف هؤلاء الشعراء أن يتمثلوا تماثيل الانسان والطير والانعام وما تبصر العين من حرث وزهر وثمر وكانت هذه مدارجهم الاولى التي درجوا فيها الى المثل الاعلى وما نعلم قدر ما عالج شعراؤهم وفلاسفتهم من فنون النحت والتصوير ، لأن علومهم وفنونهم كانت شركة مشاعة بينهم ٠ وقال قائل منهم أن سقراط كان في مطلع حياته مثالا يصـــنع التماثيل ويوريبيد كان مصورا ـ والظاهرة التي لا تغيب على أحد أن بيان هذه المدنية فى الشعر والتاريخ والفلسفة كان أدنى الى صياغة التماثيل ، وكانوا علماء يعرفون طبائع ما يصفون من الانسان والحيوان وما ظهر منها وما بطن ٠٠٠

وبذلك نرتد الى ما كنا فيه وهي الشركة المشاعة بين بيان النابغين ، قد يفسر بعضهم علم بعض ولا نفل سبيلا ان وضعنا شعر تماثيل سووفوكل ، وما ينشد ابطاله من مبادىء دين الاولين بموسيقى المعابد التي يتغنى بها بندار فى احدى قصائده ويجعلها تماثيل يسرى بها الاحرار فى كل دهر ٠

★★★

المعروف من حياة سوفوكليس (١)

« فى فطرتى وقلبي معبد مقدس عال يقدس العدل »

(يوريبيد هيللينا ١٠٠٢)

الذين خلدت آثارهم فى الادب اليوناني حتى قيام الامبراطورية المقدونية في أواخر القرن الرابع ق٠م٠ يقفون فى عمر الدهر كالمعابد المتناثرة الخالدة بين أطلال الفناء . من آوى اليها أسمعته المعابد ما غاب من بينات الحق والعدل ... كان ضمير كل شاعر وكل كاتب وكل فيلسوف قد اشتمل على دين العدل والخير الذى خلدت به مدنية المصريين ومدنية الهيلليتيين الذين دانوا بدينهم حتى غربت شمس هذه المدنية ، أى حين تولى ضمير الانسانية عن الايمان والصدق وغشيته سكرة البطش وجهل البربرية الغاشم ...

وقارىء سوفوكل الذى ينسى قداسة معابد الاولين وصدق أولياء الله والعدل قد تغيب عنه كل حقيقة هذا الادب ٠ وقد كان من قدر الاشياء أن نبدأ بسوفوكل وهو فى مغرب الذين آمنوا بسعادة الخير والعدل ، وكان أولى بنا لو لم تحجب المدنية الحديثة والتعليم السوفسطائي الحديث عن ضمائرنا أسرار ما بنى آباؤنا الأولون من معابد لتكون كتابا نقرؤه وأسوة نتبعها وميراثا نحفظه ـ كان أولى بنا أن نبدأ فى أول الحديث بهم عن معابد العدل والخير ، ولكننا سنسمع ميراثهم فيما خلف القديسون من شعراء اليونان وفلاسفتهم ـ ثم نتأمل بما تحيى هذه الدراسة في ضمائرنا ما رمزت به كتابتهم المقدسة وحينئذ يرد سوفوكلس وأمثاله الى مثل الخير الأعلى الذى دعا اليه أبطال العدل والخير منذ بنيت لبطولة الخير والعدل معابد المصريين ...

وقارىء سوفوكلس يجب أن يتذكر قول قديسة مصرية فى مسرحية هيللينا ليورسيدس :

---

(١) قد افضل نطق اسم سوفوكل مخففا بدلا من سوفوكليس ..

نيونويه « انى بفطرتي وارادتى استمسك بتقوى الله ، انى أسعى لمجد مؤثل ولا
أضيع مجد آبائي ولست فى سبيل ارضاء أخى بمرتكبة عملا يخزيني ....
ان فى قلبى معبدا كبيرا مقدسا للعدل ... » .

بهذه الصفات قد يتوج هومير وهيزيود وفيثاغور وصولون وبندار واشيل وسوفوكليس وسقراط وأفلاطون وديموستين ولا يغنى العلم بهم شيئا اذا لم نتخذهم صلاة في معابد الصدق والعدل والخير ؛ ونتخذهم نبراسا يضيئون ما خبا من ميراث آبائنا الأولين .

في أيام آباء سوفوكليس أى أبطال الحروب الميدية الذين أتوا بشبه المعجزات من الافعال . كان الانسان مجيدا بأعماله لا بما تتناقله الاحاديث والذكر عن صفاته .... كثير منهم حمل درعا لم يرسم عليه مآثره لأنه لا يحرص على أن يباهى بمجده ولا يحفل بظاهر الاشياء ، وحسبه أن يكون في حقيقته بينه وبين الله من الصالحين ؛ قد حرث في قلبه حرثا عميقا يثمر الرشد والسداد والحكمة وآمن الانسان أن كل شيء ما عدا الله باطل وأن الانسان ظلال خاوية .... وكانت آدابهم أن أورثوا بنى الانسان حقيقة أفعالهم الخالدة وتجملوا حياء فلم يقصوا عن أنفسهم قصص الفارغين التي تنتسج منها الآداب الحديثة كتبا وسمرا ولهو الحديث ....

آثار سوفوكليس باقية كآثار معابد الاولين اشتملت لمن يقيم صلاة المؤمنين المتفكرين على كثير من أسرار شاعرها وبانيها .... وأحكمت آياتها فلا تسلم أسرارها لكل عارض وتسلمها للروية والاعجاب والحب .... وكلما قلبت مكنونها ووردت منهلها زادتك علما ويقينا وتكاد آثار هؤلاء الابطال تغنى عما تقص المدارس فى أجيالها القديمة والحديثة عن حياتهم .... وما كتب عن حياة نابغة الموسيقى والتراجيدية في القرن الخامس قبل الميلاد في أثينا نذر يسير .

فهو مولود عام ٤٩٧ ق.م أى أنه كان أصغر سنا من اشيل الذى ولد عام ٥٢٥ ق.م وكان سوفوكليس فيما يقصون شاعرا تعلم التراجيدية من اشيل وعلمه أبوه ما يتعلمه ابناء اشراف زمانه .... أى الموسيقى والرياضة البدنية وكان معلمه في الموسيقى رجلا من أئمة الموسيقى فى زمانه يدعى « لامبروس » ونبغ سوفوكليس في الموسيقى والشعر والرقص وكان حادى كوروس شباب الآثينيين في نصر سلاميس واتجه الى شعر التراجيدية وبز منافسيه في محكم البيان والحكمة

وبذلك احتاره الاثينيون قائدا لاسطولهم مرتين ، مرة مع بريكليس ومرة مع نيسياس .... وانه عمر طويلا ومات في آخر القرن الخامس عام ٤٠٦ ق٠م ٠

وما يقصون عن زواجه وأولاده لا يغير شيئا مما ندرك به اسرار علمه وأدبه ونبوغه .... وبرغم هذه القصص فقارىء شعر سوفوكليس والمفسرون لاسرار جماله لا يبلغون حقيقة أمره حتى ينفذوا الى أسرار دين المدنية التي هذبته ، ومن ينفذ في هذه الاسرار يجد لسوفوكليس منزلة الشرف فيما خلقت هذه المدنية من نحت فيدياس وكوميدية أريستوفان وفلسفة سقراط وتاريخ توسيديد ٠

وأدب سوفوكليس كمدنية معابد سوفوكليس لا يحد بزمان حياته ولا بمدة عمره وانما هو ممتد في أعمار ما خلا قبله من حكمة الانسانية وآدابها ، والسعيد من يبلغ في العلم أقطار فكره وأسرار دينه وحسبنا أن نشرح ما بقي من آثاره بتفسير فكرتين ذكرهما الاقدمون في حياته :ـ

أولا : أنه كان أكثر الناس تدينا وأشد الناس ايمانا بالله والعدل ٠

ثانيا : أنه كان أكثر شعراء التراجيدية احكاما للتراجيدية وأشدهم تأثيرا بتراجيدياته .

★ ★ ★

ولد سوفوكليس في ضحى النصر ، ومقادير السعادة تهيىء لقومه آيات العزة والمجد ، كانوا في سعادتهم حماة الحرية المؤمنين بالعدل والحق وأنبتوا نباتا حسنا من عظماء الرجال ثم أفلت شمس هذه السعادة قبل أن تغرب حياة سوفوكليس فتمخضت حكمته عن تراجيدية الحياة « لا تقل عن أحد انه سعيد قبل أن يحضره الموت » وشعراء التراجيدية في القرن الخامس ق.م ظنوا أن يعلموا الانسان بأمثال الابطال فيوقوه سوء نفسه ويعصموه من بأساء المقادير فنعمة الانسان مرهقة ، علمه آباؤه الصالحون الا يظلم ولا يبطش ولا يغلو في شيء وأن يستمسك بالعدل والتقوى فان لم يبصر بحكمته منازل المقادير عصمته من مساقط الزلل قوة العدل والتقوى وأي بلاء اذا جاءت المقادير فأخذت التقي بذنب الفاجر والمحسن بذنب المسيء ٠

ان أكبر ما شغل بيان سوفوكليس أن يشقى البريء ويعاقب بما يعاقب به المجرمون ٠

عاش سوفوكليس في أوج العزة وحضيض البلاء وكل هزته أوتار البراءة والطهر في قيثارة شعره الذى نبع من مثل الخير الاعلى وأروع صور الطهر والبراءة كانت صورة « انتيجونه » وأجاكس كان بريئا ، وفيلوكتيت كان بريئا ، وأوديب كان بريئا ، وكلهم بلغوا ذروة البطولة وكلهم ترددوا رغم براءتهم في هاوية البلاء .

وما نرى من عجز الانسان رغم بسطة ملكه وعلمه وجهله بما تضمر له المقادير وسؤاله ـ وما ترد نبوءات المعابد سؤاله أو ترد عليه بما لا يشفى غليله جعل حياة الانسان تراجيدية تنفطر من فزعها الالباب . واذا نزلت بالانسان مصائبه طاش قلبه فلا يعلم مصادر البلاء . فاذا تكشفت له بعض الاسباب رأى الانسان نفسه مصدر الجريمة ومصدر العقاب ـ أخفى عن بصيرته أسباب كل شيء شعاع النجاح والمجد ـ وفتن العقل الأثيني بالايمان والكفر وبالمجد والفناء وبالسعادة والشقاء ؛ وسوفوكليس ومن عاشوا عيشته في أثينا من القرن الخامس ق.م كانت حياتهم صراعا فتاكا بين النعيم والشقاء ومكنت الحياة لغزا محيرا كلغز الموت وتتمنى كل نفس أن تجد على العلم عدى .

وخالت كل موهبة أن تجلو الخافي من أسباب السعادة والشقاء ، ونهضت كل موهبة بما ترى وتكاثرت الآراء على الانسان فما يدرى ما يأخذ منها وما يدع وهبت على الانسان ريح الحرية فمكنت له من آيات البيان وكملت بعض صفاته وجعلته شاعر أمته وخطيب أمته وقائد أمته والمسير العليم لمسائر الناس ـ خلا على الانسان حين من الدهر لا يزيد على عمر سوفوكليس (أى بين مولده ٤٩٥ وموته ٤٠٦ ق.م) نشطت الانسانية من عقالها في مدنية سوفوكليس وسخر الانسان أمله وأقصى طاقته للمجد في الفعل والقول والحكمة وهذه التجربة ضنت بمثلها الايام في عمر الزمان . فالانسان الذى عاش عيشة سوفوكليس في مدنية حرة رشيدة عالمة مكلفة قدست الحق وعلمت أسرار العلم والفنون والعدل ـ ان هذا الانسان حر مسئول ، وكان أهلا لان يتقى الويل بيده ولسانه لكن تكاليف هذه الحرية خلقت نقيضين ، خلقت انسانا رفيعا من الطراز الاول ، نابغة في البيان وسيدا ارتفعت غاياته وسمت مداركه وتكاليفه فهو مهذب بتهذيب ابناء الملوك في عمر الاساطير ، وهو في حكم مدينته راع مسئول عن سعادة أمته وكان هذا الانسان في آماله درعا لأمته يرد عنها العوادى لكن تراجيدية الحياة في عمر هذا الانسان أنه عجز عن دفع نبال الاحداث عن نفسه فمهما علت مقادير الانسان قيد الله فوق يده وقد أوتى رجال ما لم يؤت أحد من المواهب والقوة وكان القدر الخفى أدهى منهم بأسا وقوة .

غاية ما نتعلم من حياة هؤلاء الاحرار الذين لم يبطش بمواهبهم بطش من عجز او فساد أو رذيلة ولم يتركوا هملا لفساد حياتهم أو حياة آبائهم فعاث الفتء والشرور فى كوامن نفوسهم وبشع القدر حياتهم وسيرتهم ، وليس فيهم اسوة ولا مثل كريم ـ غاية ما نتعلم من أدب سوفوكليس أنه ولد سعيدا وعاش لاسعد آمل الانسان وولى متعدا فتيا الى مشرف المثل الاعلى والخير وكشف للانسان من قسم مساعده بينات الخير والحكمة . ومن يمعن فى فهم آثار سوفوكليس يجدها جميعا من نبع الديموقراطية الآتينية التى ولد سوفوكليس في أولها ومات في مغربها وكان بتهذيبه وعقله وبيانه مرآة هذه التجربة الفريدة .... كانت هذه الديمقراطية أملا في عمر الانسان فحققت أثينا هذا الامل غداة الحرب الميدية ، وكان أخص مزايا هذا الامل سعادة الانسان ليبلغ الانسان في بدنه قوة أبطال المصارعين ويبلغ بقلبة وعلمه مشارف الحكمة والبيان والأدب،وليعيش مجيدا شريفا ويموت مجيدا شريفا ويتجمل بالعدل والتقوى ويرد موارد العلم جميعا ويستخيف علماء الارض والنابغين في كل شيء ـ ارتفع الانسان بهذا الامل الى مشارف الحق وأقام الانسان من معرفة الحقيقة والحكمة آثارا بناها أملة لابد الدهر ، لم يتكلم الانسان عبثا ولا لغوا وأقام الانسان لحديثه وفعله آثارا خالدة كاملة في خلود معابده وفي خلود الجمال والصدق .

العدل والتهذيب الرفيع والارتقاء الى المثل الاعلى قوة متماسكة في بناء الخير والديمقوقراطية وسلم الانسان الحر الى غاية الكمال ، والمثل الاعلى أى أعلى ما يبلغه عقل الانسان من عالم الجمال والخير كان نزعة دينية فتية من آثار تهذيب المعابد ـ هو الصورة التى يصوغ الفنان من مثلها أبدع خلقه ، فالاله هو المهندس الاكبر صاغ العالم يوم خلقــه من كمال صــورته ، والفنان الذى يصور صــورة لو صورها في مثليا الاعلى فتاة لسحرت بجمالها الناس جميعا ، وروعة هذه التماثيل التى يقيمها الفنانون بعد أن يتموا صورة تمثالهم ان ينطق التمثال بالحقيقة الازلية والجمال الابدى السرمدى ، واذا أشرفت بصيرة الخالق على أتم صور الجمال والخير رأى الله هنالك واستمسك بالعروة الوثقى بين الانسان وبين آيات الله المقدسة المنبثة فى الحياة والموت ... نزع سوفوكليس هذه النزعة الفريدة فى عمر الانسانية فصور ما يحمل الانسان من حب وعدل فى صورة أنتيجونه وجعلها تمثالا رائعا ينطق بالعدل الابدى والتقوى ويؤمن بدين الحب ايمانا لا تزعزعه رهبة المنون ، واظهر صور الحب في صورة أنتيجونه هو البر والاحسان بوالدها والبر والاحسان بأخيها ولم تعبأ بالموت فى سبيل هذا الحق ـ جاءوا بها الى كريون الآمر الناهى :

كريـون : تكلمي ولا تطيلي ، هلا علمت أننا نادينا بتحريم ما فعلت .

انتيجونه : أجل علمته وكيف يغيب عني وقد كان مشهودا .

كريـون : ثم تجرئين على عصيان القوانين .

انتيجونه : لم ينادني زيوس بتحريم ما أمرت به ولم تنهني عنه ربة العدالة التي تعيش بين آلهة الدنيا والآخرة ، انها لم تشرع مثل قوانينك للناس ، ولم أومن بأن أمرك الذي ناديت به قادر على أن يتجاوز عن قوانين الآلهة ؛ فانت ما أنت الا حي هالك ، وقوانين الآلهة ، التي لم تكتب والتي لا تزل مثقال ذرة ليست بحادثة عارضة من خلق اليوم والامس ولكنها أبدية حية خالدة ولا يعلم أحد متى ظهرت . ولست من خوف انسان أيا كان بمرتكبة معصية في قوانين الآلهة فالقى عقابي عند الله ، فاني لم يخف على أني ملاقية الموت وكيف يفر أحد من الموت حتى ولو لم تناد بما نهيت عنه . فان عجلت بموتي فربما كان ذلك خيرا . فمن كان مثلي يعيش فيما لا حد له من الشقاء الا ترى أن الموت ربح له ، لست أرى بلاء فيما تهيىء لي من مصير ، ولكن بلائي أن أترك أخي الذي ولدته أمي ميتا في العراء لا يواريه أحد في قبر . وما عدا ذلك فلا أعبأ به ، اني لم أخلق لعداوة الناس ولكني خلقت لحبهم وصداقتهم (١) .

غاية العلم ادراك الحقائق الخالدة الالهية في حياة الانســـان وصراع الناس بعضهم بعضا هو صراع التفاوت في السبق الى آماد الحقيقة المثلى وصراع بين ظاهر الامور وباطنها ، ولو أدرك الناس الحق بعين واحدة وقلب واحد ما اختلفوا وما تسارعوا .... كريون في انتيجونه حسب أنه خير ملك حكم طيبة لانه يعتنق اسمى مبادىء الحكم من حيث يبصر هو وعامة الحاكمين مثل الحكم .

كريون

« أيها الرجال ان الآلهة بعدما زلزلت وطننا زلزالا شديدا قد عفت عنه وهدته السبيل ، اني قد أرسلت رسلي تناديكم من كل صوب لاني علمت عن يقين أنكـم

---

(١) سوفوكليس : **انتجونه**

راعيتم حرمات سلطان لا يوس وعرشه وفعلتم ذلك حين صلحت المدينة بحكم أوديب ، فلما مات أوديب وخلفه ولداه مكثتم أوفياء ، فلما تصارعا على الحكم وصرع أحدهما الآخر آل العرش والسلطان الى لأنى أمت الناس قرابة بمن ماتوا : لا سبيل الى معرفة نفس انسان وعقله وقلبه قبل أن يختبر بولاية الحكم ويمتحن بتصريف القوانين، وعندى أن ولى المدينة الذى لا يستمسك بأحسن المبادىء وانما يعقد لسانه من الخوف هذا الرجل لا أعده الا شريرا فى حاضرنا وفيما خلا من زمانى » .

« ومن آثر على وطنه صديقا فلا قدر له في نفسى وأنا ـ وليشهد زيوس علام كل شيء على ما أقول ـ أنى لن أكم فمى ان رأيت البلاء يسعى الى قومى ليذهب بسلامتهم ، ولن أتخذ من أعداء وطنى صديقا لانى مؤمن ان وطننا ان سلم تكاثر اصدقاؤه ! .. بهذه القوانين أكسب هذا البلد سعادة وقوة » .

كانت هذه أبعد ما ينفذ اليه عقل حاكم ، وهي قوانين الحكم الوضعي . وجزاء من يعصى قوانين الحاكم الآمر الناهى أن يقتل . لكن آماد القوانين في المثل العليا تمتد الى قوانين الله الخالدة الابدية التي لا تحد بزمان ولا مكان ولا يعرف احد متى ولدت ولا أيان مرساها ، وهي أبدية وقوانين كريون عرض قاصر زائل . واستمساك انتيجونه بالمثل العليا يرفعها الى درجات الشهداء والقديسين ، وغاية العلم اذن الا يقتصر على ظاهر الامور ويوغل العقل الى آيات الله ومن يبلغ بعقله هذه الغاية فهو من أولياء الله ومن العلماء والقديسين .

كان سوفوكليس رجلا بلغ بيانه أقطار المثل العليا . فلما عاش ولاه الآثينيون مصائرهم غير مرة ولما مات عدة الآثينيون من أولياء الله والقديسين . فكيف بلغ نوابغ الآثينيون ومنهم (سوفوكليس) بعلمهم اماد المثل العليا ومنهم من جاء هذه الغاية في مقتبل العمر ـ وما بلغوه في تفصيل بينات المثل الاعلى مازال حقا عزيز المنال تتلى آياته في أقطار الأرض جميعا في معابد النابغين .

الجواب على هذا السؤال عصى ما لم نرتد بالعلم الى المعابد ، وتخفى أسرار العقل ان لم تجمع من حوله حياة المعابد في المدنية الاولى ـ كل شيء صلاة وعبادة وغاية الصلاة بلوغ الجمال المطلق الابدى الانسان ذكى لأن له يدين وقد سبقت أيدى صناع التماثيل الى تبيان المقدسات في النفس وامتدت يدا فيدياس وتلاميذه الى صياغة تماثيل لزيوس وتماثيل لأثينا ولبينات الجمال والخير ومن وراء فيدياس في عمر المدنية من صاغوا آيات الجمال الخالدة ولا ريب أن الذى صاغ هذه التماثيل

كان بجانبه من صاغ بالموسيقى آيات المثل الاعلى فى الخير والجمال والبطولة ـ وبجانبهم شعراء خالدون ينشدون بالموسيقى والشعر أناشيد الآلهة وحياة الآلهة والابطال ـ وحسب أثينا أن تهب عليها حماسة الحرية والمثل الاعلى لتخرج للناس آيات فيدياس وشعر سوفوكليس وعقل سقراط وبيان توسيديد . واصول هـذا المثل الاعلى ممتدة في أعمار الانسانية حين كان العلم صلاة وكانت الصلاة موسيقى وعلما وفلسفة ـ الانسان الحر العالم الطليق يبدع آثارا من صورة مثله الاعلى . ومن يدخل معبدا من معابد الاولين ولو لم يبق منه الا حطام الدهر يأوى الى مثلهم الاعلى والى صلاتهم ويجد في آثارهم ما حققت أيديهم من نزوع الى بلوغ مثـل الحياة الاعلى وما بنت أيديهم من معابد يشهدون فيها بضمائرهم آيات الحق والصدق هى في البناء توأم لما تنزع اليه آمالهم من مثل الجمال والخير فهى تعبير عن روح لا يذهب الموت بموسيقاها ولا بروعة صلاتها وسلام غايتها ـ وموسيقى القيثارة التى نبغ فيها سوفوكليس كانت أقرب شيء الى مثل القدماء الاعلى : في نغمها السلام والسكون والقوة والجلال ، وتنفذ النفس بها الى صفاء أقطار أبولون تحمل الروح الى آفاق المثل الاعلى وعند الجمال المطلق تؤمن الروح بروعة الخلق، وتنفذ الى سلام الخلود ولا ترضى حتى تكون حياتها وآمالها كمتصلة بهذا النبع الحى المثير في عالم الجمال والخير ـ كل ما آمن به الانسان من نبل الفعل والقصد وما تخلق به الانسان من سماحة وعفو وما نبغ فيه الانسان من صنع وما سما اليه العقل من حكمة خالدة كل ذلك أثر من آثار السلام والصلاة التى يتطهر بها العقل في موارد آيات هـذا الخير .

★ ★ ★

ومن تكون آلهة سوفوكليس التى يتجمع في صفاتها مثل سوفوكليس الاعلى ؟ سوفوكليس ينزع الى مثل أعلى فى صياغة شعره وشدو قيثارته غير متجاف عما تلا الشعراء من قبله . كل شيء في الشعر والموسيقى من قبل سوفوكليس كان ميراثا مجيـدا وحكمة . اتباع الخلف فضيلة السلف هو الابقاء على زينة السلف وجمال ذكرهم ومثلهم الكريم والكفر والتعامي عن فضيلة السلف مضيعة أى مضيعة للقيم الانسانية التالدة .

سوفوكليس شب على ما ورثه النابغون من السلف في الآداب والموسيقى والشعر وكان أحرص ما يحرص عليه خلف صالح أن يحترموا آلهة أمتهم . وكانت أثينـا آلهة يبدأ بصوتها تراجيدية أجاكس وهى التى ذهبت ببصيرة أجاكس رغم نبوغه .

ليس يخفى على الآثينيين غداة النصر ان سوفوكليس انما يوليهم النصح على لسان آلهتهم فنصر سلاميس الذى يباهي به الآثينيون نصر لا يرده الراشدون منهم الى أنفسهم ويردونه الى الآلهة وأرواح الابطال . وأجاكس بطل طرواده كان من سلاميس وسرى فى ملأ الاغريق أنه حضرهم في معركة سلاميس وكان يقاتل فى صفوف الآثينيين يضرب أعناق الفرس وهذا البطل نفسه لا يفعل خيرا الا بإذن الله والتقوى . فان تعدى حدود البشر والحكمة ذهبالله ببصره فلا يأتي بخير . ويعكس سوفوكليس فى مرآة هذه التراجيدية سكرة البغى ومرتع البغى الوخيم . قد نسى الآثينيون الله وذكروا أنفسهم ونسوا ان النصر كان من عند الله فحسبوه من عند أنفسهم وانطلقوا وسيفهم بأيديهم يقتلون رعيتهم وحلفاءهم وهم يحسبون أنهم انما يقاتلون أعداءهم — ان أكبر النصر أن ينتصر الانسان على نفسه وشر الهزائم ان ينهزم الانسان في نفسه — قد انتصر الآثينيون عامتهم على الفرس ولم ينتصروا على أنفسهم — وصورة أجاكس كما يصورها سوفوكليس لا تريد شيئا أكثر من ان تعكس للآثينيين صورة أنفسهم وكلهم اذن هذا البطل وما أصاب أجاكس كان غضبا غضبته عليه أثينا الهته والانسان اذا تجاوز قدره وغرته نفسه ترميه الآلهة بسهام الانتقام ، فأجاكس يوم غدا للقتال من بيته قد غاب عنه الرشد رغم النصح الرشيد الذى أولاه اياه أبوه — فقد قال له ناصحا : .

« يابنى ان كنت تحب أن تغلب بقوة السيف فاغلب بقوة الله دائما » .

فأخذه الزهو وقال لأبيه : « يا أبت أن المعدم اذا عاونته الآلهة ارتد قديرا وأنا أشعر أننى لا حاجة بى اليهم لابلغ القوة والمجد (أجاكس ٧٥٧ وما بعده) » .

وهو الذى اجاب اثينا التى نادته أن يصرف يمينه القاتلة الى أعداء الاغريق فرد عليها بهذا القول المتكبر : « أيتها الاميرة آزرى سائر الاغريق ، أما حيث أقف فلن تنثنى صفوفي » . بهذه الاقوال اغضب الآلهة غضبا شديدا لانه جاوز حدود البشر وغرته قوته (أجاكس ٧٧٥ وما بعده) .

وعقاب هذا الشطط أن ينقلب البطل الشجاع الذى كان حصن أمته سخرية القدر وحديثا فاحشا تشيعه الشائعات ويضيع الشرف ويتفشى العار ومن نشأ ليعيش كريما شريفا ويموت كريما شريفا فسوء سيرته عقاب وعار ، وتتصل الاسباب بعضها ببعض فما تسلبه من عتاد عدو مهزوم لتعتدى به قد يكون فيه حتفك لأن آلهة الانتقام تسخر عدلها حتى تثأر للمغلوب والميت وصورة ذلك يجلبها الزمان القوى

العنيد ، ومهما غرك النجاح والفوز والنصر فرهبة الدهر أشد لأن كل شيء يزول الى ضده والليل يخلف النهار . وخير ما يتعلق به الانسان التقوى . والحكيم من يرهب دائرة القدر لان طبيعة الاشياء تقضي أن يتغير مصير كل شيء . فمن كان اليوم صديقا قد ينقلب عدوا ، وقد يتلاشى الايمان ويلين الرأى العتيد . وبسيف هيكتور الذى نقله اجاكس في حرب طروادة ينتحر أجاكس .

ولا يدع سوفوكليس كل شيء فى اسرار الاساطير كانما ينشد نشيدا في الذين خلوا من قبل وانما يكشف عن ضمير اسطورته بما يشغله من تحول حياة الآثينيين الذين باتوا لا يستبينون الرشد وأفرطوا فى المساواة والهوى واعتدوا بقوتهم وببأسهم اعتداد أجاكس الذى أودى الاعتداد به . وقد لا يحسب الآثينيون اذن انه يصور انحراف عامتهم عن العدل والتقوى وهو في معبده يرى صورا من العقاب تنزل بالبرىء وعقابا ينزل بالمنتصر فى أوج نصره ، ثم يفصح سوفوكليس عن رمز تراجيديته (١) .

« ان أجاكس لم يرد في حياته ان يسمع لما تأمر به قادة المدينة والرجل الذى لا يسمع أمر كبراء مدينته رجل من أهل السوء ولا تصلح القوانين فى مدينة مالم يرهبها أهلها ، وليس لجند نظام ولا اصلاح الا بالرهبة والتقوى وليحذر الانسان انه مهما أوتى من بسطة الجسم والقوة أن تزل قدمه بأوهى الاسباب ، وفي الرهبة والحياء سلامة الانسان . وحيث أحل للناس الفجور وأبيح لهم أن يفعلوا ما يشاؤون فاعلم ان هذه المدينة لا بد أن تأتيها ساعة تهوى فيها من رخاء الحياة الى اعماق الهاوية (اجاكس ١٠٧١ وما بعده) .

وأشرف ما تمتد اليه آمال النابغين أيام سوفوكليس أن يكون النابغة عالما بما يحقق فى أثينا صورة القديسين الذين يشرفون بعلمهم وعقلهم على مثل الله الاعلى فى العدل والحق ، ومن يمد علمه الى العدل المطلق فقد يستبين عاقبة الامور فى حياة الافراد والامم . فحكماء هذه المدينة قد علموا حكمة الاشياء ورأوا أسباب تحول الانسان والامم من السعادة الى الشقاء ؛ وحذروا الانسان مغبة البغى والظلم والعدوان ، وأشرف ما تطاولت اليه نفوس النابغين أن يجعلوا وطنهم معبدا . ما زلنا ندخل اطلال المعابد برهبة الصلاة ولو أسمعت الاطلال حديث من خلا من نوابغ العلماء

---

(١) سوفوكليس : **أجاكس** (١٠٠٧٠ وما بعده)

القديسين اذن لا سمعتنا المعابد أروع البيان والحكمة ، ومن أحيا أثرا من آثار هؤلاء القديسين الذين نبغوا في الموسيقى والتهذيب والحكمة فقد أحيا أعز ما تشرئب اليه أعناق الانسانية . ليسوا كأحد من الهالكين فى أعمار الدهر . ليسوا صما وبكما وعميانا وانما اكتشفوا بأفئدتهم وسمعتهم وابصارهم حقيقة الابد .

من عسى أن يكون أوديب في **أوديب الملك** أو في **أوديب لدى كولون** ومن كريون وانتيجونه وأجاكس وفيلوكتيت ، واسماء أبطال تراجيديات سوفوكليس الباقية ؟ انها آسماء ملوك خلوا في أساطير بلاد قريبة من أثينا مثل طيبة أو أرجوس ، لم يقص الشاعر قصصا مثلما خلف قصصها تاريخ الاساطير ؛ وانما اختار اسطورتها الدينية وصنع من أبطالها رجالا واناثا كبيئة الرجال والاناث الذين عاشوا بمثل شريفة من كره العار والتمسك بالشرف وولاهم مصيرهم ملك أممهم وأسلمتهم الاحداث للخير حينا وللبلية أحيانا . صاغ الشاعر من أسماء الاساطير تماثيل أبطال وملوك ثم بث فيهم روحا تجعلهم أحياء يسعدون ويشقون ويقولون الحكمة والسداد أو يترددون فى خطأ أعشي يتخبط بهم فى مجاهل القدر حتى يكونوا مثلا وموعظة — ملوك الاساطير الذين يصورهم سوفوكليس لهم عقل كعقول أولياء الاثينيين أيام سوفوكليس ولهم مقادير مثل مقادير أمة أثينا التي عاش فيها سوفوكليس ، ولهم روح الاثينيين ومصائرهم أيام سوفوكليس ، فهم مرآة تكشف ضمير الحاكمين ما ظهر منها وما بطن . ومجد البيان اذن أن يسلط بالحديث والموسيقى عقل من كان من ملوك الاساطير على أفئدة السامعين من أمة الاثينيين فيوقظ ضمائرهم ويطهر أفئدتهم ويوجههم الى الخير والصواب والحكمة . وشرف هذه التجربة في عمر الانسانية ان الشاعر كان في قومه في منزلة القديسين لم تسخره الاقدار ليرتزق بشعره وموسيقاه من فتات موائد الحاكمين ، ينطق عن أهوائهم عدلوا أو ظلموا . لكنه سيد وابن سيد يؤم أمته حاكمين ومحكومين الى السعادة والخير ويحب أمته حب الابن البار والاب الرحيم وأقصى ما يبتغيه ان يرضى الله والصدق والعدل وأن يتوج يوما بتاج من حب العادلين الصادقين .

لم يكن سوفوكليس يؤمن بالسعادة في شيء فوق ايمانه بسعادة العدل والتقوى وما تيسر هذه السعادة الا في قرية مؤمنة كالتي ولد فيها سوفوكليس ، كل أرضها مقدسة هى مقام بوزيدون المقدس وفيها مقام بروميثيوس حامل المشعل ، وهى عتبة

الطريق الى أثينا ، والأرض المجاوز تعبد كولون الفارس وتؤمن بأنها منتسبة اليه وتحمل اسمه وليست العبادة فيها كلاما عابرا ولكنها عبادة عن ايمان وصدق (١) .

في مثل هذه القرى تغمر التقوى ويخاف الاتقياء أن يمس ذكرهم عار البغى والجور وتأتيهم الحكمة من فضيلة الدأب فى كسب شريف ؛ وشرف البيوت المؤمنة القديمة ان تفتح بابها للسائل والمحروم وتقيم الصلاة وتكرم الغريب وتفشى السلام وتجير المستجير ، ومجدها ان تثبت تقواها ذرية طيبة متفقة في دين العدل والخير فتهدى الضال وتنشر النور في حياة العالمين . قد أنبتت قرية أليزيس ايشيل وأنبتت قرية كولون سوفوكليس فانبتتا شاعرين حملا في أثينا فقه العدل والخير وادخلتا اثينا بفقه العدل والخير في دين الخالدين .

قرية سوفوكليس وقرية اشيل وقرى غيرهما رفعت لأثينا ذكرها فصارت أثينا أم بلاد اليونان التي بايعتها على الزعامة والملك ، وصار سوفوكليس معلم العدل والتقوى وقديس الحرية والحكمة في أمة بسطت ملكها ودخلت في ملكها أمم ورجال يقدسون الملك والبأس وتتملك ضمائرهم شهوات المطامع والجور . ويعمر سوفوكليس حتى يهجر العدل والخير نفوس الحاكمين والمحكومين من حوله ، وتختل موازين العدل والتقوى ويتفشى في الحاكمين والمحكومين تهذيب جديد سوفسطائى أحل الحرام وحرم الحلال بمنطق واقتناع وهجرت معابد العدل ومجدت عبادة الثراء والملك وباتت أثينا التى عبدت الحرية والعدل والتقوى أيام الحرب الميدية حكومة الشهوات الطاغية المستبدة ايام حرب البيلوبوتيز ...

شن آباء سوفوكليس حربا دينية على الجور والطغيان وحالفوا العدل والانسانية والخير فأورثوا أبناءهم دينهم وشرف فعالهم ولم يلبثوا الا جيلا وبعض جيل حتى دخل فيهم أغراب لا يؤمنون الا بسلطان الملك وكذب السفسطة . وكذب الحاكمون بالدين التليد ورموا الناصحين المؤمنين بأنهم عبيد مال يباعون ويشترون وكذلك يرمى كليون معارضيه بأنهم مأجورون لأن حب المال قرين الحكم المستبد الجائر ، وامتد هذا الداء الدموى حتى رمى به الانقياء الانبياء المؤمنون ويفسر ذلك عنف أولياء الله من فقهاء العدل والتقوى فى تراجيدية سوفوكليس . لا يمعن الانسان النظر فى عقل سوفوكليس حتى يكاد يراه ويسمعه وهو شيخ كبير يشهد ما حل

---

(١) سوفوكليس : **أوديب لدى كولون** ٥٥ وما بعده

بأمته العزيزة الرحيمة العادلة من تجاف عن الحق والانسانية والخير فى سبيل عرض زائل ـ انا نراه فيما صور من صورة القديس تيريزياس ، نسمع فيه عقل سوفوكليس وهو يخاطب الغافلين من ذوى البأس في أثينا فى شيخوخته .

تيريزياس : تدبر يا بنى هذا الرأى ان الخطأ من شيم النفوس جميعا . فان أخطأت نفس فمن الصواب والرأى أن يرجع الانسان الى الحق ولا يتمادى في الباطل ، والتمادى في الخطأ يعقب الخطل . لاعنت على ميت وضرب الميت حرام . ما خير من يقتل ميتا مرة أخرى ؟ انى أوليك نصحى حرصا عليك . فأحب شيء الى النفس ان تتعلم من ناصح أمين يؤتى نصحه خيرا » .

كريون يأيها الرجل الكبير انكم جميعا وقفتم كالرماة تصوبون الي سهامكم ولا تعفون من نبوءتكم . ان أهلى قد باعوني وخانوني منذ عهد بعيد ، اجمعوا ما بدا لكم ان تجمعوا من الغنى ، اشتروا أموال سارد واجمعوا ذهب الهند لكنكم لن توارووا جسد بولنيكيس ـ حتى تسور زيوس لو أحبت أن تمزقه اربا وتحمل اربه الى عرش زيوس فلن أعبأ بهذا الرجس ولن أسمح بدفنه وأنا أعلم أن الانسان لا يملك أن يلوث الآلهة برجس، انما يزل الانسان زللا مخزيا ـ أيها الرجل الكبير تيريزياس ـ ان ستر خزيه بقول بليغ ابتغاء كسب يناله » .

تيريزياس : أف لك هل يعلم الانسان وهل يتدبر .

كريـــون : ماذا تقول وما هذا القول المبهم .

تيريزياس : أو لم تعلم بأن الرأى السديد والنصيحة أغلى من كل مال .

كريـــون : بقدر ما يجلب التجافي عن الرأى من بلاء .

تيريزياس : انك أنت مريض بهذا المرض .

كريـــون : لا أريد أن أرد سيئة بسيئة على قديس من علماء الغيب .

تيريزياس : ذلك الذى أنت فاعله فانت ترمى علمى بالكذب .

كريـــون : ان العرافين فئة تحب المال .

تيريزياس : ومن شيم الطغاة ان يحبوا أكل الحرام المخزى .

كريـــون : الا تعلم أنك تخاطب سادة المدينة .

تيريزياس : انى أعلم ذلك وأعلم أنك ملكت المدينة بعدما انقذتها بفضلى .

كريـــون : انك عالم من أهل الله ولكنك تحب أن تسيء الى .

تيريزياس : انك تثيرنى لاقول لك ما سكن فى نفسى .

كريـــون : ولكن لا تتكلم مأجورا بما تحب من مال .

تيريزياس : أكذلك ترانى أقرأ مقاديرك .

كريـــون : أعلم ان رأيي ليس بضاعة تبيع فيها وتشترى .

تيريزياس : واعلم أنت ايضا أنه لن يحول عليك الحول اعواما كثيرة حتى تفدى الميت بميت من فلذات كبدك لانك جعلت من كان فوق الارض في باطنها وقبرت نفسا حية في قبر بغير حق وعرضت في العراء ما حرم الله من جثة كانت لدى آلهة المقابر وحرمتها حرمة الدفن والقرار . ولا يحل ذلك ولا يحل حتى للآلهة الاعلين ، قد ارتكبت أمرا منكرا وجزاء ذلك أن تتعقبك ربات الانتقام انتقام الآلهة والموتى وتنزل بك مثلما أنزلت بالناس من بلاء . وتدبر هل ترانى أقول ما أقول لاجر بعت به ذمتى . لن تلبث الا قليلا حتى تتصاعد من بيتك صرخات النساء والرجال ستهب عليك عداوة المدائن جميعا التى تركت فلذات كبدها نهبا للكلاب والوحوش والطير الذى يحوم حول المدينة بما نهش من نتن الجثث التى حرم الله امتهانها ، ذلك هو جزاؤك وأنت الآن تألم كأنى رام رميتك بسهام غضبى ولا نجاة لك من حر السهام ، ياغلامى اذهب بى الى بيتى ودعه يرمى بغضبه من كانوا أصغر سنا منا وليتعلم أن يمسك عليه لسانا أقل عنفا وأكبر عقلا وخبرا مما أظهر الآن (١) .

ما كانت التراجيدية فى هيئة اسطورة الا تاريخا دينيا يعرض على الاثينيين في أكبر أعيادهم الدينية صيغت في صورة حية باقية . وما أصاب أوديب في غابر

---

(١) سوفوكل : **انتيجونه** ١٠٣٣ وما بعدها .

الدهر قد يتسبب كل حاكم يتحول الى حاكم مستبد يمضى في عتوه حتى يقتل الامة التي انجبته ويخزى الام التي ولدته . سنة الله التي لا تبديل لها ان لم يمجد الانسان العدل والتقوى ، والشاعر القديس وارث الحقيقة ممن خلوا من قبله وهو قديس أمته حريص عليها عزيز عليه ما تأتى من بغى أو تجبر . وهو يسمع قومه ضمائر انفسهم وهم يجدون صورتهم وصور نفوسهم فيما يتلو عليهم من أحاديث الاولين . ومعاصرو سوفوكليس من كتاب التاريخ انكتبوا تاريخ زمانهم صاغوه صياغة أدنى الى الاساطير وجعلوه حقيقة وعبرة أزلية فى عمر الانسانية فتوسيديد المؤرخ لحياة أثينا في القرن الخامس ق.م ينتهج في تاريخه منهاج سوفوكليس في تراجيدياته حتى يجعل التاريخ تراجيدية ويحمل تاريخه عظة الدهر . وقد كتب توسيديد تاريخه بعقلية أئمة البيان في زمانه ويبدو وكأنه يتبع آثار سوفوكل خاصة من قريب فأشخاص تاريخه يتكلمون كما يتكلم أشخاص التراجيدية وهو ينطق خطباءه الذين لم يسمعهم أو يرو كلامهم السامعون بيانا أقرب الى ما ينبغى ان يقوله الخطباء في مثل هذا الموقف ، وفن التماثيل كان حينئذ الفن الذى ما زالت تعبر به المدينة عن آلهتها وأبطالها ، والشعراء والكتاب والفلاسفة يصورون رجالهم بما تنطق به افواههم ، وغايتهم فيما يكتبون أن يكونوا مثلا لحقيقة دائمة كما يقول توسيديد في الجزء الثانى :

« للذين يريدون أن يستبينوا الاحداث الغابرة جهرة وينتفعوا بعلمها في الحكم على ما قد تأتى به الايام من أحداث مماثلة لما بين الماضى والمستقبل من أسباب انسانية ، فهى ميراث نافع أبد الدهر وليست لهوا تلهو به الاسماع ساعة من نهار » .

وحرص توسيديد على أن يكتب حقيقة الاحداث والرجال ليكون اقرب الى الحق فى رأيه من هومير الذى فخم بمبالغات الشعر صورة الحرب وهيئة ابطال القاتلين وليكون اكثر جدا من هيرودوت الذى بث فى تاريخ الحرب الميدية احاديث الغرائب وعجائب القصص وهو مهما حرص على الحقيقة والصدق وحرّم على نفسه أن يميل بعض الميل الى الهوى وأن ينصر أحدا من المقاتلين او يخذل الآخر بغير الحق — الا انه تعلم فى مدرسة زمانه فعقله الرياضى عقل شاعر ومنطقه الصادق المأمون منطق من خلا قبله من أرباب البيان والشعر ، وليس معنى ذلك أن أحدا من الاولين والآخرين أخذ عليه كذبة أو غفلة أواهمالا أو نقلا سلبيا مما سلف من شعر الشعراء ، لكن الحقيقة التاريخية المطلقة حقيقة انسانية لها قلب متصل

بقلوب أمثاله من النابغين الصادقين ومن يقرأ **أوديب الملك** عند سوفوكليس والجزء الثانى من كتاب توسيديد عن حرب البيلوبونيز يجد بين الشاعر والكاتب أى بين سوفوكليس وتوسيديد قلبا موصـــولا وشبها فى المنطق والبيان كشبه الخلق بين والد وما ولد ويعلم أن أوديب الملك في تراجيدية سوفوكليس هو مرآة لما آلت اليه أثينا في عهد بريكليس حينما أوقدت حرب البيلوبونيز بينها وبين اسبارطه .

مطلع تراجيدية أوديب وباء هبط على طيبة فأهلك الحرث والنسل فهرع الاحياء الى المعابد يستعيذون بالآلهة وفيهم قديس يؤمهم في صلاة الخوف وما من مرة يصور سوفوكليس صورة قديس حتى نحس أنه يصور نفسه في غمرة أحداث وطنه وينزل أوديب الملك في قصره ليسأل القديس ما أمر هذا البلع وأوديب كان الاول الذى يتقربون به الى الآلهة :

« وكان بريكليس قويا مهيبا عالما لا سلطان للمال عليه ففرض سلطانه على « العامة بسمو شمائله وكان هو مسير الشعب ولم يكن الشعب مسيطرا عليه « في شيء فهو لم يبلغ سلطانه من سبل مريبة حتى يتعلق الشعب ويقول له ما « يطيب له ان يسمعه بل كان يحفظ هيبته ويعارض الشعب فيما تهواه أهواء « العامة فان رأى عامة الاثينيين يزهون ويتكبرون زهوا في غير موضعه ردهم عن « الزهو وملأهم خوفا ورحمة وان غشيهم خوف بغير عقل ردهم الى الامن والطمأنينة « كانت حكومة اثينا حكومة ديموقراطية اسما وكانت فى الواقع حكومة الرجل الاول « والذين خلفوا بريكليس على حكومة اثينا كانوا متكافئين فيما بينهم ليس فيهم « فرد يتفرد فى السبق والفضل وكلهم يود لو يكون الاول فصرفوا همتهم الى تملق « الشعب وأسلموا العامة زمام السياسة » (١) .

رغم تفرد بريكليس بالحزم وسبقه في العلم كان في حكومة أثينا ملكا مطلق السلطان حتى بطش سلطانه بنظام المساواة الديموقراطية وصار حكمه حكم الفرد الواحد وترامت مطامع الفرد الى بسط سلطانه وملكه فنفى معارضيه وأذل أعناق أمم حملت سلطانه كرها فبغى بغى الحاكمين الجائرين من حيث لا يشعر ، وكيف يفسر سوفوكل أسباب الطاعون الذى أكل ابناء أثينا في حكم بريكليس الا أنه جزاء ظلم ارتكبته حكومتهم حين طغت في سلطانها على الحلفاء المحكومين ، ولو أن توسيديد لم يصف

---

(١) توسيديد : **حرب البيلوبونيز** الكتاب الثانى ٦٥

طاعون أثينا تفصيلا في حكم بريكليس لحسبناه أسطورة أو محاكاة لما نزل بجيش اجاممنون في أول الالياذة بعدما طمع في حق غيره ورد قديس أبوللون مهينا مظلوما . لكن طاعون أثينا كان حقيقة واقعة واجتمع على الأثينيين تحت سمع سوفوكليس وبصره هلع الطاعون والحرب وحمل الأثينيون بريكليس وزر الحرب والوباء كما حمل قديس أبوللون أوديب وزر ما نزل بطيبة من وباء ، والفرق بين المؤمنين الذين شبوا على دين آبائهم الذين حاربوا حكومة الطغيان لانها كفرت بدين العدل — وبين جيل الحاكمين فى أثينا يوم هبط عليهم الطاعون — أن المؤمنين كانوا يخافون الله والعدل وأن الآخرين « بريكليس وخلفاؤه » لا يؤمنون بشيء كايمانهم بملكهم العظيم الذى أذل لهم اعناق البلاد وجعلهم ملوكا وسادة وركبوا فى سكرة الملك مركب البطش والطغيان ، ولما خاف الأثينيون من نوازل الطاعون والحرب اتهموا بريكليس وعاقبوه بغرامة لكنه وقف يرد اللوم عن نفسه بمنطق الطغاة : (٢)

« ان عليكم ان تقوموا لحماية ما بسطت مدينتكم سلطانها عليه من حكم فيه
« مجدها وما تفخرون به من فخر فاحتملوا عناء السلطان أو كفوا عن طلب المجد ،
« لا تحسبوا أنكم تقاتلون فى سبيل شيء واحد وهو أن تردوا عن أنفسكم الذل وتكونوا
« أحرارا وانما لتدفعوا عن أنفسكم خطر الذين يكرهون حكمكم يوم يضيع الملك من
« المدينة . ليس لكم أن تطرحوا عن انفسكم حمل الحكم وان كل فيكم قوم هالهم
« الخوف فظنوا فيما نعالج الآن أن القعود شجاعة ان بيدكم حكما كحكم التيرانية
« (أى السلطان المطلق) من حكم بهذا الحكم ترونه ظالما ومن خسر هذا الحكم
« استهدف للخطر والذين يقنعون الأثينيين انهم باتوا طغاة ظالمين أولئك قد يضيعون
« أثينا في لمح البصر لو عاشوا مستقلين لا يحكمون الا أنفسهم ، لا سبيل الى
« الراحة بغير الجد والعمل والراحة لا تفيد أمة حاكمة ولا راحة للمستذلين الآمنين
« فى مذلتهم فلا تستمعوا الى هؤلاء الذين يقنعونكم أننا بتنا طغاة ظالمين » .

ان الذين شبوا على دين العدل والخير والحرية ، وفضيلة الجمال فى معابد آبائهم وصلاة قراهم هالهم الخطب يوم ولدت القرية مدينة وولدت المدينة ملكا عريضا فى البر والبحر وانقلب أبناء العادلين طغاة ظالمين .

★ ★ ★

---

(٢) توسيديد : **حرب البيلوبونيز** الكتاب الثانى ٦٣

مسرحية نساء تراخيس

تأليف : سوفوكل

ترجمة وتقديم : د. على حافظ

مقدمة بنات تراخيس

عجب العلماء لسوفوكل كيف يكتب تراجيدية « بنات تراخيس » بعدما كتب أعماله التامة الخالدة . كيف يهبط الشاعر من سماء أنيجونة وأوديب الى تراجيدية منه طراز الآداب الحديثة وقالوا أن سوفوكل يقلد آداب يوربيد .. وما نحسب سوفوكل بحاجة الى أن يقلد أحدا من الاولين والآخرين واذا جاز هذا التقليد فكيف يكتب سوفوكل بعد أدبه المفرد العلم رواية حب جديرة بشاعر شاب صدمته تجارب الحياة القاسية White man (١٠٣) وهى اقرب الى تقليد مبادىء سوفوكل التي تجعل الحيّ ينظر بعينين ولا يبصر قد خفيت عليه اسرار المقادير فلا تعرف سعادته أو شقاءه قبل ان يحضره الموت .. والذى نعجب له ان يسمى سوفوكل هذه التراجيدية باسم بنات الكوروس وهن وصيفات ديانيرا في تراخيس . وأهم أفراد هذه التراجيدية ديانيرا امرأة هيرقل ...

واذا كانت أعمال سوفوكل تعكس أشغال الحياة العامة فى أتينا فنحن لا نعلم لاى أشغال الحياة الآتينية ترد بنات تراخيس فهى قلقة لا تتصل بفعل سوفوكل الذى الفناه ولا نعرف كيف نقطع الشك باليقين في مثل هذه المسائل .

وامرأة هيرقل كعامة نساء العالمين تذكر شبابها السعيد حتى كبرت صبية تحب رجلها الذى أرسله القدر اليها وكان بطل الأبطال هيرقل بن زيوس الذى لا يغلب .. وقد صور الشاعر حنين المرأة الى زوجها وصور هيرقل وهو لا يؤوب من نصر الا الى نصر يغلب كل مصارع ويقتل المارد وكل ذى هول ولكنه على رغم هذه القوة الخارقة لا يتميز بشيء من الوفاء والنبل ، يتخذ النساء متعة يعاشرهن معاشرة عابرة فهو فى تصوير الشاعر كالزارع الذى يزرع حقلا قصيا يراه مرة حين يبذر بذوره ومرة حين يحصد ثماره وهو يتبع هواه فيؤثر الشباب النامى في من يغنم من سبايا الحرب على امرأته المحصنة الوفية وهو يغلب كل مصارع ويغلبه الحب وهو يقتل كل مقاتل وتقتله حيلة امرأة فهو رمز للقوة والحرب لا يرفعه النصر الى منزلة أبطال العقل والحكمة ..

ونرى في أصول هذه التراجيدية فكرة عزيزة على سوفوكل وهى قوة المغلوبين المظلومين رغم الموت — حتى يقتل الغالب بالرمح الذى غنمه من عدوه المقتول — قتل هيرقل نيسوس المارد برمحه وقتل هيرقل بدم المارد المسموم .

شخصيات المسرحية

ديانيرا : زوجة هيرقل

الوصيفة

هيللوس : ابن هيرقل وديانيرا

كوروس من نساء تراخيس

رســول

ليخاس : مبعوث هيرقل

أسيرات من ايخاليا ومنهم الصغيرة أيولى (يلعبن أدوارا صامتة)

شيخ كبير

هيرقل

أتباع هيرقل (لهم أدوار صامتة)

ترجمة نساء تراخيس

« في تراخيس في يتساليه حيث يقيم هيرقل »

ديانيرا : ضرب بين الناس مثل قديم وهو لاسبيل الى معرفة سعادة الانسان أو شقائه قبل أن يحضره الموت وأما حياتى فانى أعلم قبل أن يحضرنى الموت أنها كانت حياة عسرة وشقاء فأيام كنت في بيت أبى « أونييس » في بليرونى كنت أشد نساء إيتولى عزوفا عن الزواج — كان خطيبى نهرا يدعى أخيلُوُس جاء يخطبنى من أبى في صور ثلاث ، قدم مرة في هيئة ثور وجاء مرة في صورة أفعى رقطاء ملونة ، وجاء مرة في هيئة رجل له رأس عجل يتصبب من لحيته ماء دافق — أمام هذا الخطيب صرت شقية أتمنى أن أموت قبل أن أقرب فراشه ثم حدث بعدئذ ماملأنى فرحا . فقد تقدم إلى البطل المجيد ابن زيوس وألكيمينه فصارع هذا الخطيب وخلصنى .

فكيف صرعه لاسبيل الى وصف ذلك فليس الى ذلك سبيل وليحدث بذلك من شهد ذلك بجنان ثابت .

وقد كنت أوجس خيفة ، أخشى أن يجر على جمالى الشقاء واخيرا هيأ لى « زيوس » رب الصراع رشدا من أمرى ـ ان كان لى أن أدعو ذلك رشدا ـ فمنذ تزوجت هيرقل والخوف لا يلد لدى إلا الخوف ، كنت دائما أخاف عليه كلما دفع الويل ويلا أقبل الليل بويل آخر وقد خلفنا خلفا من البنين ولكنه كان كالزارع الذى يزرع حقلا بعيدا يراه مرة وهو يبذر بذره ويراه مرة وهو يحصد ثمرة ، وكانت حياته حياة خادم يخدم غيره لايصل الى البيت حتى يبرحه ـ اليوم قد فاز في كل عمل مجيد فلم يزدنى ذلك الا فزعا ومنذ صراع ايفيتوس ونحن مقيمون هنا في تراخيس أغرابـــا في بيت صديق قديم كريم ولكنّ أحدا لايدرى مقرا لهيرقل وما أعلم إلا أنه مضى وحملنى همومه وأنا موقنة أنه قد أصابه سوء ، فمنذ وقت طويل : منذ خمسة عشر شهراً وهو غائب لايرسل رسولا الينا

لابد أن يكون قد أصابه شر قد ترك لى رسالة وأنا أدعو الآلهة ألا تشتمل هذه الرسالة على شر .

الوصيفـــة : ديانيرا يامولاتى انى أراك تبكين على غياب هيرقل بكاء مرا والآن اذا كان من حق الأحرار أن يستمعوا الى رأى عبيدهم فمن حقى أن أفكر في أمرك ، اذا كنت أما لأطفال كثيرين أفلا ترسلين أحدهم ليبحث عن أبيه وخاصة ابنه هيللوس ان كان يهتم بسعادة أبيه وهاهو يعدو غير بعيد الى البيت فاذا طبت نفسا بما أقول فارسليه واسمعى كلامى .

(يدخل هيللوس)

ديانيرا : ياولدى يابني قد يحسن العبيد الرأى وهذه الأمة قد قالت قول الاحرار .

هيللوس : ماذا قالت يا أماه علميني ان كان لى أن أعلم .

ديانيرا : انه لعار عليك أن تجهل أين أبوك منذ غادرنا زمانا طويلا .

هيللوس : انى أعرف أين هو ان كان من حقنا أن نصدق مايقال .

ديانيرا : في أى بلد يابنى سمعت أنه هناك .

هيللوس : في العام الماضى منذ عهد طويل أصبح هو عبدا لامرأة ليدية ذلك مايقولون .

ديانيرا : قد يسمع الانسان كل شيء لو تم ذلك .

هيللوس : ولكنها أعتقته فيما يقولون .

ديانيرا : اين يقيم الآن حيا أو ميتا .

هيللوس : انهم يقولون أنه يقاتل أرضا في الايبوا Eubee عند مدينة ايروتوس (Eurytos) أو أنه يتأهب لقتالها .

ديانيرا : ألا تعلم يابنى أنه ترك لى نبوءات صادقة عن هذه الارض .

هللوس : اية نبوءات يا أمى انى أجهل ذلك الامر .

ديانيرا : أى أنه سيختم ايامه فان تغلب على هذا القدر فسيعيش عيشة طيبة فيما بقى من زمانه . في هذه الورطة يابنى ألا تمد يد المساعدة فتنجوإن نجا أو تهلك معه .

هيللوس : انى ذاهب ياأماه . ولو أننى علمت ذلك لحضرته منذ أجل بعيد وحتى الآن لم يكن قدر أبى

يفزعنا ولايهولنا وأنا الآن أفهم كل شيء ولن أقصر ني معرفة حقيقة هذه الامور .

ديانيرا : اذهب يابني حتى اذا بلغت بعد النصر فمعرفة النصر شيء مفيد .

(يبتعد هيللوس ويدخل . الكوروس وهو مكون من خمس عشرة بنتا من بنات تراخيس

الكوروس : انى أدعوك أيتها الشمس التى يلدها الليل ذو النجوم اللامعة اذا انقشع والتى يؤويها الليل الى مغربها في وهج الأصيل – انى أدعوك أيتها الشمس فنبئيني أين يقيم أين كمينه – أيتها الشمس ذات الشعاع الوهاج أتراه يعيش في خلجان البحر أم يعيش في احدى القارتين ؟ حدثني أيها الإله البصير .

انى اعلم ان ديانيرا التى تحيط بها المتنافسات قد استبد بعقلها الحب والشوق فهى كالطائر المسكين لاينام جفنها الباكى وهى تصبو إلى رجلها قد أضناها الخوف وهى تنام في فراش خال من رجلها ويقض مضجعها الحنين ولاترى في احلامها إلا مصيرا سيئا محزنا .

وكما تسير الرياح أمواج البحر غدوا ورواحا
وكذلك تروح الآلام وتغدو على أبناء كادموس كأنها
بحر كريته إني أجلك واعتب عليك وأنا أنصحك ألا
تيئسي — ان الله لم يجعل حياة البشر بمعزل عن
الآلام بل جعل الآلام والسعادة دولا بين الناس
كتداول نجوم الدب الاكبر — والليلة ذات
النجوم والغنى والمقادير تتداول على البشر تروح
وتغدو عليهم بالسعادة والشقاء فاستمسكي
أيتها الاميرة بهذه الحقائق في أملك فهل رأى
الناس زيوس لايرعى بنيه .

ديانيرا : لاريب أنكِ سمعتِ بآلامي فقدمت لأراك
الله ما اصابني من هم —وأنت الآن بمنأى عن
هذه التجربة . فالصبا مرتع اللذات في خلواته
ولا يعكر صفو هذه اللذات وهج الحر ولا
وابل المطر ولاهبوب الرياح . وتنمو حياته في
اللذات حتّى تصبح الفتاة امرأة فتغشاها الهموم
ليلا ويتنازعها الخوف إما على رجلها وإما على
أبنائها — واذن تعرف من تجربة الامها ماالحتمل
من آلام قد أبكتني آلام كثيرة ولكني تعذبت

عذابا لم أعذب مثله من قبل ولابد من ذكره :
حينما غادرنا سيدى هيرقل في سفره الأخير
ترك في البيت رقعة قديمة عليها علامات مكتوبة
لم يرد من قبل أن يحدثني عنها كلما خرج
لمصارعة لانه كان يخرج لعمل يعمله ولا يخرج
للموت . وهذه المرة . . لانه غاب قد بين
لى نصيبي ونصيب أبنائه من أرض أبيهم
وعين الزمان فإذا غاب سنة وثلاثة أشهر . .
والآن اما أن يكون قدمات أو أنه حى جاوز
هذه المدة وبذلك يعيش بقية عمره سعيدا لا
تنزل به آلام ، كان ذلك نهاية جهاد هيرقل الذى
قدرته عليه الآلهة كما يقول وكما تنبأت به شجرة
قديمة في دودون على لسان حمامتين ، والآن
قد حان الوقت الذى تستبين فيه أتصدق هذه
النبوءة أولاتصدق . وبذلك لا أكاد آوى الى
مضجعى حتى أهب هلعا أخشى أن أبقى أيماً
لا أرى رجلى الذى كان زينة الرجال .

منشدة الكوروس : أحسن الله فألك إنى أرى رجلا متوجاً يسعى
اليناً بنبأ سعيد .

الرسول : ديانيرا يا أميرتى ساكون أول رسول يصرف عنك الفزع فاعلمى أن هيرقل ابن الكيمينه حى وانه منتصر في جهاده وأنه يقدم باكورة نصره لآلهة وطنه .

ديانيرا : ماذا تقول أيها الشيخ .

الر سول : سيقدم زوجك العزيز الى بيته وعليه بهجة النصر والقوة .

ديانيرا : من نبأك بهذا النبأ .. أجئت به من أحد من أهلنا أم جاءك به رجل غريب .

الرسول : قد أعلنه ليخاس على الملأ في مرعى ترعى فيه البقر فلما سمعته انطلقت لاكون أول من يبلغك عسى أن أنال منك مكافأة وأن أنال شكرك .

ديانيرا : ولم لم يحضر ليخاس ان كان قد قدم بخبر سعيد ؟

الرسول : لاسبيل الى ذلك يا أميرتى فان ملأ ميليوس كلهم أجمعين قد أحاطوا به ليسألوه ولا يستطيع أن يقدم قدما ، كل يشتهى أن يسمع النبأ ولايخلى سبيله قبل أن يسمع ماتحب نفسه أن تسمع فهو مقيد بأيديهم ولكنه آت عن قريب .

ديانيرا : قد أوليتنا يازيوس يا رب مرعى أويتا الطاهر
قد أوليتنا السعادة بعد ما انتظرناها طويلا أرسلن
صيحات الفرح يابناتى في داخل البيت وخارجه
فقد حان لنا أن نجنى مالم نكن ننتظر من السعادة .

الكوروس : لتزغرد زوجته التى تنتظره في بيتها عند محراب
البيت ولترفع صيحات الشباب مرة واحدة
وتنادى أبولون حامينا ذا الحوذة الجميلة .
واثنين أيتها العذارى انشدن نشيد النصر وصحن
على أ تيميس ربة ديلوس صائدة الظباء وصحن
على جاراته الحور اللائى يحملن مشعلين . انى
أطرب بنغم الناى . . أجل إنى أطرب به خاصة
هيا هيا إن تيجان النصر تهزنى إلى الرقص . .
انظرن يا أحبائى انظرى يا أميرتنا المحبوبة
ان موكب النصر دان قريب .

ديانيرا : انى أراه ياصاحباتى العزيزات . لم يغب عن
بصرى (يدخل ليخاس ومعه السبايا) سلاما
أيها الرسول الذى جاءنا بعد انتظار طويل
لعلك تأتينا بنبأ سعيد .

ليخاس : انا نبشر ببشرى سعيدة يا أميرتى قد نلنا النصر ومن نال النصر فجزاوه أن يسمع أجمل الثناء .

ديانيرا : يا أحب الناس الينا انى أحب أن أعرف قبل كل شيء هل أستقبل هيرقل حيا فعلمنى .

ليخاس : قد تركته حيا قويا مزهرا ليس عليه من بأس .

ديانيرا : في أى بلد أهو في بلد اغريقى أم في بلد أجنبي ؟ نبئنى .

ليخاس : انه فوق شاطئ ايبوا حيث يبنى معبدا ويقدم الثمار الى زيوس الكينايوس(١).

ديانيرا : هل يوفي بنذر ام يفعلها طاعة لنبوءة أبولون .

ليخاس : انه نذر نذره اذا أخذ بحد السيف أرض هؤلاء السبايا اللاتى ترين .

ديانيرا : وهؤلاء السبايا بحق الآلهة سبايا من؟ ومن هن ؟ انى أرثى لهن لما أرى من بلائهن .

ليخاس : ان هيرقل قد غزا مدينة أيرونوس وأخذهن غنائم لنفسه ليقدمهن للآلهة .

---

(١) راس كينايوس فى الايبويه Eubée كان يعبد فيه زيوس من قديم العصور

ديانيرا : هل قضى حول هذه المدينة كل هذه الايام التى لاتحصى .

ليخاس : كلا بل إنه كما يقول قد قضى جل وقته في ليديا لم يكن حرا وانما كان عبدا اشتراه رجل ونحن لاينبغى أن نلومه على قَدَرٍ قدره عليه زيوس فقد بيع عبدا لامرأة أجنبية من أومفالى ومكث عندها عاماً كما يقول فعز عليه أن يتحمل هذا العار فأقسم أن يستعبد من فعل به هذه الفعلة هو وامرأته وذريته ولم يذهب قوله هباء فلم يلبث أن تطهر حتى أخذ جيشا أجنبيا وسار الى مدينة ايرونوس وقال ان ايرونوس كان سبب بلائه خاصة من دون العالمين . فقد كان هيرقل ضيفا عليه وكان بينهما حق جوار قديم فأساء الى هيرقل بقول غير كريم فقال لهيرقل انه رغم سهامه التى لاتقهر فأبناؤه أرمى من هيرقل اذا نازلهم في الرماية ، وانه اذا سكت على الاهانة كان أدنى الى أخلاق العبيد وقد سكر هيرقل مرة على مائدته فطرده من بيته فحنق عليه هيرقل حتى اذا خرج ايفيتوس الى تلال تيرونثيا يقتفى

آثـــار خيلـــه الضالـــة فشرد بصره مرة ثم
شرد ذهنـــه مـــرة أخـــرى رماه هيرقـــل
من أعـــلى الجبـــل الى باطـــن الوادى فغضب
زيوس على هذه الفعلة وزيوس رب العالمين
فطرده عبدا يباع في الأسواق . ولم يطق ان
يقتل هيرقل عبدا من الناس غدرا ولو انه
انتقم علانية لغفر له زيوس لأنه كان على حق.
والآلهة لاتحب البغى ، والذين يبغون بقول السوء
أولئك يشقون في الجحيم وتستعبد أوطانهم .
وهولاء البنات اللاتى ترين بدلن من النعيم شقاء
وهنّ يمشين بين يديك هذا ما أمر به زوجك
وأنا خادمه الأمين انجز مايقول — فاذا قرب
لزيوس قربانه شكرا فاعلمى أنه سيأتى وما
تسمعين كان . أسعد أنبائه .

منشدة الكوروس : يامولاتى لابد أنك سعيدة بما سمعت .

ديانيرا : كيف لايحق لى أن أفرح ان سمعت بتوفيق
رجلى فكل نجاح يُعقّب فرحا لامحالة . ومن
كان عاقلا خاف أن ينقلب عثاراً وأنا أيتها
الصديقات أرثى رثاء شديدا لهؤلاء الفتيات أن

يعشن في بلد غريب بغير مأوى ولا وطن ولا أمان لحياتهن وهن قد ولدن أحرارا من آباءٍ أحرار ثم ها هن أولاء إماء يحتملن عيش العبيد ، زيوس ياولى النصر لاتقدّر عليّ أن أرى أحدا من أهلى يهوى عليه غضبك وان فعلت فلا تفعله في حياتى ذلك ما أستشعر من خوف كلما نظرت لهؤلاء الفتيات – أيتها البنت الشقية من أنت بين الضحايا ؟ أليس لك زوج أم أنت أم فمن ينظر إلى وجهك لايستبين شيئا من ذلك ولكن وجهك ينم عن أصل شريف . . ليخاس ، بنت من هذه الفتاة ؟ من أمها ومن أبوها ؟ حدثنى فقد ملأتنى هيئتها رفقا بها وهى وحدها تعرف قدر هذه المسألة .

ليخاس . : ماذا أستطيع أن أقول عما تسألينى ؟ لعلها كانت في قومها من نسب شريف وأهلها ليسوا أذناب الناس .

ديانيرا : انها ليست من بنات الملوك – هل لايروتوس أنجب بنات .

ليخاس : لست أدرى وأنا لا أسال الناس كثيرا .

ديانيرا : ألا تعرف اسمها من رفاق سفرها .

ليخاس : كلا فقد أديت عملى في صمت .

ديانيرا : تعالى أيتها المسكينة فحدثينا عن نفسك من البلية ألا نعرف من أنت .

ليخاس : انها لا تتكلم كما كانت تتكلم في أيامها الخالية فهى لاتنطق بكثير ولا قليل فقد كتمت آلامها في صدرها وأرسلت الدمع مدارارا وذلك منذ غادرت وطنها الذى تذروه الرياح فهى تعـــانى قدرا أليما وهى أهل للمعذرة .

ديانيرا : فلنتركها ولتمش الى البيت كلما طابت نفسها بذلك ولانحملها فـــوق آلامها آلاما أخرى ، حسبها ما تحمل من آلام فلنذهب جميعاً إلى البيت ولكى تنجز أنت ما تريد سأهيئ في البيت مايلزم

(يخرج ليخاس ومعه الأسرى)

الرسول : (يوقف ديانيرا) انتظرى هنا قليلا لتعلمـــى بمنأى عنهم من هم الذين تدخلينهم في دارك فأنت لا تعلمين عنهم شيئا وأنا أعرفهم حـــق المعرفة .

ديانيرا : ما خطبك ما بالك توقفني ؟

الرسول : قفي واسمعي فلم يكن سدى ما سمعت من قبل ولن يكون الآن هباء .

ديانيرا : أندعوهم الينا مرة أخرى أم تريد أن تخاطبني وتخاطب هؤلاء الفتيات على انفراد ؟

الرسول : اني أريد أن أخاطبك وأخاطب هؤلاء الفتيات أما الآخرون فدعيهم .

دانيرا : قد خرجوا فتكلم .

الرسول : ان هذا الرجل لم يصدق في شيء مما قال وهو اما أن يكون الآن امرأ سوء أو أنه لم يكن فيما مضى رسولا حقا .

ديانيرا : ماذا تقول ؟ وضح كل ما تريد أن تقول فماقلت لا أفهمه .

الرسول : قد سمعت ما قال هذا الرجل وشهد على ذلك شهود كثيرون وهو يقول ان هيرقل قد قتل ايروتوس بسبب هذه الفتاة وغزا أو محاليا ذات القلاع العالية. قد زج به الحب الى أن يرتكب هذه الفظاعة ولم يكن سببها ما كان في ليدا ولا

ما أصابه من عناء صبه على أو مفالى ولا مــوت
ايفيتوس وقد أغفل هو سبب الحب فلمــا أبى
والدها أن يزوجه بنته ليأوى الى فراشها سرا
تمحل أعذارا واهية وحارب أرضها التى ذكر
ليخاس أن ايروتوس كان ملكها فقتل أباهــا
وغزا مدينتها — وهو الآن كما ترين يعــود الى
بيته ويرسلها بعد روية ولا يرسلها أمة سبية كلا
لا تنتظرى ذلك وليس ذلك طبيعيا إذا اشتدت به
الصبابة — قد رأيت أن أدلك عــلى كل شيء
يا أميرتى مما علمت من هذا الرجل ، وقد سمع
هذا القــول ملأ كبير مثلى في قلب أســـواق
تراخيس واذا لم أقل لك ماتحبين فانى آســف
ولكنى لم أقل لك الا الحق .

ديانيرا : ياويلتا ! ماذا أصابنى ! ماذا أعانى في بيتى من بلاء
مظلم يالشقائى هل ولدت هذه الفتاة بغير اسم
كما أقسم الذى جاء بها ؟

الرسول : انه واضح كالشمس أنها بهيئتها وصورتها بنت
ايروتوس وكان اسمها « يولى » لم يذكر هــو
شيئا عن أصلها لأنه لايسأل عن شيء .

منشدة الكوروس : قاتل الله الأشرار ولا أقول جميعا بل أخص الذى يدبر في الظلمات شرا مزريا .

ديانيرا : ماذا أقول يا صاحباتى إنى ترتعد فرائصى مما أسمع .

منشدة الكوروس : اذهبي فأقنعى هذا الرجل لعله يقول الحق ان أحببت أن تشتدى في سؤاله .

ديانيرا : انى ذاهبة وما تقولين فيه رأى سليم .

الرسول : ونحن هل ننتظر ام ماذا تفعل ؟

ديانيرا : انتظر فان الرجل قادم من تلقاء نفسه لم يدعه أحد من رسلى .

ليخاس : ماذا أقول يا سيدتى لهيرقل ان لاقيته ؟ قولى ، فانك ترين أنى ذاهب

ديانيرا : انك جئتنا بعد وقت طويل ثم تنفض مسرعا قبل أن ندخل معك في الحديث .

ليخاس : اسالى مابدا لك فانى هنا .

ديانيرا : هل تعطينى عهدا أن تقول لى الحقيقة .

ليخاس : ليعلم الله انى أقول ما أعلم .

ديانيرا : ما هذه المرأة التى جئتنى بها ؟

ليخاس : انها امرأة من ايبوا ـ لا أستطيع أن أقول من أبوها ومن أمها .

الرسول : تعال هنا فكر وانظر من تحدث .

ليخاس : لماذا تسألني هذا السؤال ؟

الرسول : اجروءْ وأجبني عمّا أسألك عنه .

ليخاس . : اني أخاطب ديانيرا ملكتنا بنت أوينيوس زوج هيرقل اذا لم أكن مخطئا انها سيدتنا .

الرسول : ذلك ما أسألك عنه أتقول انها أميرتك .

ليخاس : ذلك حق .

الرسول : ماجزاوءك وما عقابك ان ثبت أنك لا تقول الحق ولا تصدق في حديثها .

ليخاس : ما معنى ذلك وما هذا الابهام ؟

الرسول : ليس فيما أقول ابهام وأنت الذى لا تحدث الا إبهاما .

ليخاس : اني منصرف فانا سفيه أن أخوض معك في حديث طويل .

الرسول : لا تنصرف قبل أن تجيب عن سوألى البسيط .

ليخاس : قل ما تريد فانك لست أبْكَم .

الرسول : هذه السبية التي جئت بها الى القصر أتعرفها حقا ؟

ليخاس : نعم وما هذا السؤال ؟

الرسول : هذه الفتاة التي تنظر اليها كأنك لا تعرفها أو لم تقل أنها « يولى » بنت ايروتوس .

ليخاس : لمن قلت هذا القول آتونى برجل يشهد أنه سمعنى أقول ذلك .

الرسول : سمعك ملأ كبير في قلب سوف تراخيس سمعك قوم كثيرون .

ليخاس : نعم انى ادعيت أنى سمعت، وهناك فرق بين من يقول عن بينة ومن يقول افتراضا .

الرسول : أى افتراض أولم تقسم أنك جئت بامرأةهيرقل .

ليخاس : أنا جئت بزوج هيرقل ؟ بالله يا أميرتى قولى من هذا الغريب ؟

الرسول : انه رجل شاهد سمعك وأنت تقول انه بسبب صبابته بهذه المرأة، كل مدينة أو مفالى قد هدمت وانها لم تغلب بقوة الليدية وانما هدمها حبه لهذه المرأة .

ليخاس : اصرفي هذا الرجل يا أميرتى فليس من شيم العاقل أن يشط مع المجانين .

ديانيرا : بالله الذى يرسل البرق فوق قمم أوبتايون لاتكتم على الامر انك لاتخاطب امرأة سوء ولا امرأة تجهل طبيعة البشر التى لاتنعم دائما بذات النعيم فمن يصارع الحب بقوة كقوة المصارعين فقد تجنبه الصواب ان الحب يتحكم في الآلهة كما يشاء ويتحكم في نفسى ، فكيف لا يتحكم في أمرأة غيرى ؟ فأنا أن لمت زوجي أن أصابته لوعة الحب فانى اذن قد غاب عنى الرشد بل . كيف ألوم هذه المرأة التى لم ترتكب سوءا ولاعارا ولم تكن سبب شر أصابنى لاسبيل الى ذلك فاذا كنت تعلمت منه الكذب فبئس ماتعلمت وإذا تعلمت ذلك من نفسك لانك تريد أن تكون محسنا فعاقبتك أن تنقلب مسيئا ، تعال فقل الحقيقة فالكذب وصمة في حياة الرجل الحر . إنك لاتستطيع أن تخفى عنى شيئا ، لأن كثيرين ممن تحدثت أنت اليهم قد حدثونى فاذا كان الخوف سبب كتمانك فلا وجه لخوفك لأننى لايؤذينى شيء أكثر من أن أظل جاهلة بهذا

الامر وما ضرنا أن نعلم الحقيقة فرجل كهيرقل قد صبا بنساء أخريات كثيرات ولم أشق على واحدة منهن بقول شديد ، ولم الزم واحدة منهن مخزية وهذه المرأة عندى مثلهن ولوتحرق صبابة اليها فهى لاتثير عندى الا الشفقة لأن جمالها جر عليها البلاء وهدم وطنها وجر عليه الذل ، فدع الاشياء تجرى في أعنتها وكن مسيئا لسواى وكن صادقا معى .

منشدة الكوروس : استجب لها فقد أولتك أحسن النصح ولن نلوم هذه السيدة يوما وستنال شكرى .

ليخاس : يا أميرتى المحبوبة انى أعلم انك انسانة تفكرين بفكر انسانى رشيد . وبذلك أقول لك الحق ولا أخفى عليك شيئا ان الأمر كما قال هذا الرجل . قد صبا هرقل بهذه الفتاة ووجد بها وجـــدا شديدا ومن أجلهـــا أخـــذ وطنها Oichalie بحد السيف . ولكن ينبغى لنا أن نقول هذه الحقيقة شهادة له انه لم يأمرنى ان أتستر عليه ولكننى من تلقاء نفسى أيتها الاميرة خفت أن احزنك بكلامى ، فوقعت في هذا الخطأ اذا

اعتبرتِ ذلك خطأً وقد عرفتِ الامرَ على علاته فأحبي هذه المرأة كرامة لزوجك واكراما لنفسك، واجعلي ماقلت عنها حقيقة ثابتةفهيرقل الذى غلب كل شيء قد غلبه حب هذه المرأة .

ديانيرا : هذا ما قدرتأن أفعل وما نلقى بأيدينا الى البلاء فنقاتل الآلهة ونحن المغلوبون واذن فلندخل بيتنا لنحملك رسالتي . . فمن حقنا أن نرد على الهدية بالهدية .ولترجع اليه بهديتي وليس من الحق أن تأتينا حافلا ثم تبرحنا فارغ اليدين .

الكوروس : ما أكبر قوة أفروديت ربة الحب التي لا تغلب فهى تنتصر على الآلهة وتغرى زيوس بن كرونوس وسلطان الموت المظلم كالليل وبوزيدون الذى زلزل الارض،ويوم غلبت ربة الحب هذه المرأة تقدم المتصارعان قبل الزواج وخاضا حلبة الصراع بترابها ولطماتها كان أحدهما نهرا في هيئة ثور له قرنان شامخان وهو يمشي على أربع وكان ذلك أخيلوس الاوينيادى وكان الآخر من طيبة باخوس ، كان شاهرا قوسا مرنا وحربة ثقيلة وهو ابن زيوس وكلا

المتصارعين يطوى خصمه غدوا ورواحا وسط الحلبة ، ووقفت أفروديت وحدها التى أثارتهما بحب الزواج تحكم أيهما لمنتصر .

وما كنا نسمع إلا لطمات اليدين والسهام وصدمات قرون الثور وتطاحنا وتناطحا ،وكان يحدث إغماء وترسل آهات التوجع . وذات النظر الساحر هذه العذراء الجميلة تجلس فوق مرتفع تكشف منه أبعادا بعيدة تنتظر أيهما يكون رجلها وأنا أتكلم كأنى شاهدة وهذه العذراء تنتظر حزينة من يكسبها ثم تذهب بعيدا بمنأى عن أمها كأنثى الانعام الوحيدة .

(تدخل ديانيرا ومعها عبد يحمل في يده حقيبة مغلقة)

ديانيرا : قد تركت هذا الغريب يحدث سبايا الأنفال الصبايا وخرجت اليكن سرا لأحدثكن عما دبرت يداى وعما ألاقي من ألم . هذه الصبية التى أعتقد أنها ليست فتاة وانما أعتقد أنها امرأة انى أتقبلها وقلبى ثقيل حزين كالبحار الذى يحمل بضاعة ضارة وذلك جزاء إخلاصي . .

اني وإياها صرنا متعة في فراش واحد . هذا هو جزاء الوفـــاء الذى أرسله الىّ هيرقل الطيب الامين ، ومع ذلك فلست حانقة عليه ان كـــان فريسة للحب ولكن أى أمرأة تستطيع أن تعيش تحت سقف واحد مع هذه المرأة وتشاركهـــا زوجها ؟ اني أ ى شبابها ينمو ويزدهر وأرى شبابي يضمحل ويندثر ، والعين تشتهى الثمـــار المزهـــرة وتغض عـــن الزهـــرة الذابلـــة وأخاف أن يصبح هيرقل زوجي اسما ، وزوج الصبية فعلا . ولكني قلت لَكنّ ان المـــرأة العاقلة لا يحسن بها أن تثور فبأى دواء ياصاحباتي أخفف آلامى ؟ إني أد لـّكنّ عليه .

أهداني المارد يوما هدية حفظتها في قمقم من معدن مطروق وكنت يومئذ صبية فأخذت هذه الهدية من نيسوس وهو يعالج سكرات المـــوت وكان نيسوس يمد ذراعيه فيغنيان عن عبـــور بحر ايفنوس العميق وينقل الناس بأجر فـــلا يحتاجون الى التجديف ولا الى شراع ، فلمـــا أرسلني أبي اليه يوم صبرات امرأة هيرقل لأعبر البحر مع زوجي حملني نيسوس فوق كتفيـــه

حتى إذا صرت في منتصف الرحلة لمسنى بيده
لمسة جارحة فصرخت منها فاستدار هيرقـــل
ورماه بسهم كالشهاب فأصاب منه مقتلا فقال
هذا المارد العجيب هذا القول « يابنت اوينيوس
الكبير خذى عنى هذه الفائدة فأنت آخر من
عبرت به اذا حملت معك مايراق من دمـى
المسفوح حيث سمم ثعبان البحر موضع السهام
كان هذا الدم سحرا لعقل هيرقل فلا ينظر ولا
يعلق امرأة سواك وقد تذكرت ذلك ياصاحباتى
وحافظت على هذا الدم في بيتى بعد موت صاحبه
وصبغت به هذا الرداء، ولم أغفل شيئا مما قال لى
وهو حى . وفي النهاية وقانى الله شر كل جرأة
محرمة . . وأنا أكره كل من تقدم على كل جرأة
وكل جريمة — فأنا لا أريد بهذا السحر إلا أن
أنتصر على هذه الفتاة وأكتسب هوى هيرقـل
هذا ما فعلته إن لم أكن مسرفة وإلا فانى لن أقدم
على شيء .

منشدة الكوروس : اذا كنت على ثقـة مما تفعلين فانت لم تجتنبى الصواب .

ديانيرا : ان ثقتي قائمة على الظن فأنا لم أجربه قبل ذاك .

منشدة الكوروس : يجب أن تكوني على علم بهذا الامر وما تملكين هذا الامر حتى تجربيه .

ديانيرا : سنعلم ذلك عن قريب فان ليخاس غاد من البيت وسينطلق قريبا اني أسألكن أن تحفظن هذا السر فمن يرتكب أمرا مخزيا في الخفاء لا يفضح قبل أن تكشف مخزيته

(يدخل ليخاس)

ليخاس : ماذا نفعل ؟ دليني يابنت أوينيوس فاننا قد تأخرنا

ديانيرا : ذلك ما أعد لك حتى تفرغ أنت من حديث السبايا ، أعددت لك هذا الثوب هدية مني الى زوجي وقل له اني أسأله ألا يلبسه أحد قبله ولا يرى شعاع الشمس ولايدخل به معبدا ولايقدم به الضحايا إلى مواقدها قبل أن يلبسه يوم يشكر لله نصره اني نذرت ان عاد سالما أن أزينه بهذا الثوب ليقرب للآلهة قربانا جديدا في ثوب جديد وستحمل له دليلا يعلمه ولايخفى عليه وهو خاتمي اذهب إذن ولاتنس أمانة الرسول

وهى آلا يتجاوز ما أرسل به ، وبذلك يجتمع لك شكر هيرقل وشكرى .

ليخاس : لو أننى أديت أمانة الرسول كهيرميس بغير تقصير فلن أخلف ظنك وسأحمل هذا القمقم كما هو وأؤدى ما قلت لى من مواثيق .

ديانيرا : امض اذن فأنت قد اطلعت على كل مايجرى فى القصر .

ليخاس : انى عرفته سأقول له ان البيت فى سلام .

ديانيرا : وأنت تعلم بعد الذى رأيت من أخلاق هذه الفتاة انى تقبلتها قبولا حسنا .

ليخاس : قد طبت نفسا بذلك .

ديانيرا : ماذا تقول له بعد ذلك ؟ أخشى أن تحدثه عن وجدى قبل أن نستبين من ناحيته صدى لهذا الوجد

(خرجت دنانيرا وسافر ليخاس ومعه الهدية)

الكوروس : ياساكنى صخرة أويتا المطلة على البحر وعيونها الساخنة وينابيعها ، ياساكنى خليج ميلوس وشاطى العذراء ذات سهام الذهب وفيها مجامع

الهيللين الدينية في ثير مويبل – سيعود اليكم صوت الناى الجميل لايسمعكم صوت النحيب بل يسمعكم كالقيثارة تشيد الآلهة . ان هيرقل ابن زيوس بن الكيمينه قد غادرنا ومكث غريبا وراء البحر اثني عشر شهرا ونحن لانعلم عنه شيئا . وامرأته العزيزة قد انفطر قلبها من البكاء فإله الحرب قد عفا عنه وصرف عنه الآلام فليقدم ولايؤخر سفينته ذات المجاديف ولايكف عن التجديف قبل أن يبلغ مدينته بعد ما يبرح المعبد الذى يتقرب فيه الى الله هل يأتينا صبابة إلينا تملوه قوة الاغراء كما يقول المارد .

(تدخل ديانيرا)

ديانيرا : أيتها النساء إنى أخاف أن أكون قد جاوزت الحد فيما فعلت .

منشدة الكوروس : ماخطبلك ياديانيرا يابنت اوينيوس .

ديانيرا : لا أدرى انى أخاف أن أكون قد ارتكبت عملا سيئا بنية حسنة .

منشدة الكوروس : أليس ذلك من أجل هديتك إلى هيرقل .

ديانيرا : أجل وانا أنصح كل أمرئ ألا يتهور في فعل عمل لايدرى عقباه .

منشدة الكوروس : حدثيني ان بدا لك أن بحديثي مايهيج خوفك .

ديانيرا : لو قلت لكن ياصاحباتي كيف حدث ذلك فانكن ستسمعن شيئا لايتوقعه أحد ، فكيف قد صبغت هذا الثوب حتى صار أبيض وهاجا بصوف ناعم من أغنامنا . . لم يبدده احد من أهل البيت ولكنه بدد نفسه وتطاير فوق حجارة الارض ولأقص عليكن الامر تفصيلا فلابد من حديث طويل عما علمنيه المارد وهو يعالج سكرات الموت من سهم أليم نفذ في جانبه ، علمني شيئا حفظته كنقش لايمحى في لوح من معدن مطروق وذلك الذى أوصاني به والذى أنجزته . قد أوصاني أن أحفظ هذا السحر في جوف غرفة مظلمة لايأتيها شعاع الشمس ولاحر النهار حتى يأتى اليوم الذى أريد أن استعمله بلونه . وذلك الذى فعلت ، والآن حين أحببت أن أستعمله صبغته في البيت في حجرة خافية واتخذت صوفا نتفته من شعر أغنامنا ثم صبغته

ووضعته في علبة ولم أعرضه للشمس وجعلته هدية كما علمتن فلما أويت إلى بيتى رأيت عجبا لاتكاد يصدقه العقل قد رميت الصوف الذى صبغت به الثوب في وهج الشمس فلما سرى فيه حر الشمس تلاشى كأن لم يكن شيئا لا يُرى منه على الارض الا ما يُرى من نشارة الخشب التى يأكلها المنشار حتى اذا وقع على الارض رأيت الحجارة تغلى بزبد كزبد النبيذ الصافي إذا أريق على الارض . . فأصابتنى مصيبة بدت لعينى وعقلى فقد عرفت أنى ارتكبت جريمة منكرة — فما للمارد ؟ نعم ما بال المارد قبل أن يموت يولينى موده أنا التى تسببت في موته لايكون ذلك الا لعاة . . وهو انه أراد أن يقتل من قتله فاتخذنى وليا ولم استبن سره الا ضحى الغد حين لاينفع العلم ، وأناوحدى إذا لم يخلف الله ظنى أنا الشقية قد قتلت زوجى إن السهم الذى رمى به المارد قدأصاب أحدالارباب قد أصاب « خيرون » ولا يمس السهم وحشا إلا قتله وهو سهم سموم بدم قاتم لا يصيب أحدا الا قتله فكيف ينجو هيرقل منه

اني لا أشك في ذلك فان صدق ظني ومات هيرقل فسأقتل نفسي معه وما الحياة مع عار الذكر لمن تفاخر بحسبها ونسبها ؟

منشدة الكوروس : ان الافعال المنكرة عاقبتها الخوف ولكن لا تيأسي من رحمـــة الله .

ديانيرا : من يدبر السوء لا يجد أملا يطمئن به فؤاده .

منشدة الكوروس : لكن الذين يخطئون من غير قصد لا يلبث غضبهم أن ينقشع ، وأنت أهل لأن ينصرف عنك الغضب .

ديانيرا : ان هذا حديث من لم يرتكب جرما ولايستشعر في نفسه جرما ثقيلا .

منشدة الكوروس : خير لك أن تكفى عن الكلام إذا لم تحبي أن تحدثي ابنك بهذا الامر فقد حضر ابنك منذ سافر ليبحث عن أبيه .

(يدخل هيللوس فجأة)

هيللوس : يا أماه لقد تمنيت لك واحدة من ثلاث : انك لم تولدى أبدا – أو – ان سلمت كنت أما لاحـــد غيرى – أو تستبدلى بما تجدين الآن شعورا آخر .

ديانيرا : ماذا أثارك عليّ ياولدى .

هيللوس : ان رجالك فاعلمى—أريد أبى—قد قتلته هذا النهار.

ديانيرا : ياويلتاه بأى نبا قدمت يابنى . !

هيللوس : وقع أمر لا مرد منه وإذا جاء القدر بطلت حيلة الانسان في دفعه .

ديانيرا : ماذا تقول يابنى ومن الذى علمك أننى ارتكبت جريمة لا يحسدنى عليها احد .

هيللوس : قد رأيت بنفسى وسمعت بأذنى ما أصاب أبى من شر فظيع .

ديانيرا : أين أدركت هيرقل وبقيت معه . ؟

هيللوس : ان كان لابد أن تعلمى فلا بد أن أقص عليك كل ما رأيت — قد مشى إلى مدينة ايروتوس الشهيرة وغزاها وعاد بأعلام النصر وأنفال الحرب . . وعند لسان أرض ايبوا الذى يحيط به اليم من كل جانب أى عند رأس كينايون بنى هيرقل معبدا لأبيه زيوس وزرع حوله غابة مقدسة وهنالك لقيت أبـــى وكنت سعيدا بلقائه فلما هم بأن يقرب لله

الضحايا قدم عليه رسوله ليخاس قادما من
لدن بيتك يحمل إليه هديتك هذا الثوب المسموم
فلبسه كما أمرت ومضى يقرب لله الضحايا من
اثني عشر ثورا من خير ماللديه من البقر ثم جاء
بعدئذ بمائة رأس من أنعامه وكان سعيدا أن
يلبس هذا الثوب الجميل في هذه الصلاة ومالبث
أن تطايرت من موقد الضحايا جذوة نار مشتعلة
بدماء الضحايا . وكانت جذوة من شجر سمين
وحينئذ تصبب جسمه عرقا وتلاصقت العباءة
على جسمه كأنه جسم تمثال وسرت في عظامه
قوارص يتلوى من وجعها كأنما عضته أفعى
قاتلة .فصاح بالمسكين ليخاس الذى كان بريئا
من جريمتك وسأله ماذا دبرت من جريمة بهذا
الثوب الذى جئتنى به فقال ليخاس انه لايدرى
وقال إن هذه الهدية هديتك أنت جاء بها كما
أرسلت . فلما سمع هيرقل هذا الحديث عوى
وأمعاؤه تتمزق ثم أخذ ليخاس من عرقوبه
ورماه فوق صخرة تتلاطم حولها أمواج البحر
فانفجرت أم رأسه عن نخاع أبيض ومن وسط
رأسه دم دافق فتصايح الملأ فزعا إذ يرون

هيرقل يعالج سكرات الموت ويرون ليخاس قد قدر عليه موت لارجعة فيه ولم يجرؤ أحد أن يدنو من هيرقل وجعل يتمرغ في الأرض ويثب في الهواء ويقول ويصرخ وتردد صخور الأرض صياحه وعويله وقمم لوكريد ومرتفعات ايبويا فلما خر صعقا بعدما ترامى على الأرض كثيرا وتصايح صيحات الويل لعن الزواج الذى جمعه بك ولعن مصاهرة أبيك أوينيوس التى جرت عليه وبال الحياة . فيما اشتمل عليه من دخان . . زاغت عينه فأبصرنى أبكى بدمع منهمل بين الملأ فالتفت إلى ونادانى وقال لى يابنى لا تفـــر من بلائى ولو قـــدر عليك أن تموت معى . . اخرجنى من هنا وضعنى حيث لايرانى أحد . فان عز عليك ماترى من أمرى فاقصنى عن هذه الأرض ما استطعت حتى لا أموت فيها . كان ذلك ما أوصانى به . . فوضعناه وسط قارب وجئنا به إلى هذه الأرض وهو يحتضر — اذهبى وانظرى إليه فهو إما حيّ أو أنه قضى نحبه ، وذلك يا أماه هو جرمك الذى أجرمت على أبى وأنا أدعو عليك أن تنتقم منك العدالة

وربات الانتقام . . ولا يحرم الله عليّ ما أدعو به عليك إنه حقى وأنت التى أحللت لى هذا الدعاء ، لانك قتلت أبي الذى كان خير أهل هذه الارض ولن تبصرى بعده رجلا يشبهه .

(تخرج ديانيرا دون أن ترد بكلمة)

منشدة الكوروس : ماهذا الصمت؟ لم تتسللين صامتة؟ أليس الصمت اقرارا بالتهم ؟

هيللوس : اتركنها تنصرف فان بعدها غنيمة كيف يفاخر الناس باسم الامومة اذا لم تفعل الام خيرا ! دعنها تذهب الى حيث ألقت ، جازاها الله بمثل ماجازت أبى .

الكوروس : انظرن يابناتى ها قد صدقت نبوءة المعبد القديم التى نبأت هيرقل بأن أشغاله ستنتهى بعد اثنى عشر عاما كاملة وقد وقع ذلك تماما ، فمن أغمض عينيه على الموت ليس له شاغل . وكيف يرى الشمس مرة ثانية من اخترقت أوصاله سموم المارد ـ اجتمعت عليه قبضة أبى الهول المخيف وقتل المارد ومكره .

لما رأت ديانيرا المسكينة بلاء شديدا يسعى إلى

بيتها إذ تدخل عليها زوجٌ جديدة لم تفهم من النبوءة شيئا ولم تعقل شيئا من نصح الناصحين بعد ما كان بينها وبين المارد من لقاء شؤم فهى تبكي وتنتحب وتذرف الدمع مدرارا وأثبتت الايام شر مامكر به المارد .

قد فاضت ينابيع الدمع واستبدت الأوجاع بهيرقل بصورة مفزعة فأعداؤه لم يرثوا لبلائه قبلئذ مثلما رثوا له الآن .

لله سنان الرمح القاتمة التى حملها هيرقل في قتاله وغنم بها هذه الفتاة العذراء من أوخاليا المرتفعة بعد قتال — ولا ريب أن افروديت ربة الحب الصامتة قد دبرت كل ذلك القدر .

نصف الكوروس

الاول : هل أكذب سمعى انى أسمع صوت نحيب من داخل القصر ماذا أقول ؟ .

نصف الكوروس

الثانى : نعم لاريب في ذلك ان في داخل البيت بكاء أليما ان في هذا القصر أمرا .

منشدة الكوروس : انظرن الى ديانيرا وهى تمشى على غير عادتها

مقطبة الجبين. وهى مقبلة الينا . تخفى أمرا هذه الكبيرة .

(تدخل الوصيفة)

الوصيفة : يابناتى ان الهدية التى جاءتنا من هيرقل قد فاجأتنى ببلاء عظيم .

منشدة الكوروس : ماذا تحدثين أيتها الكبيرة .

الوصيفة : لقد سافرت ديانيرا آخر سفرها دون أن تحرك قدما .

منشدة الكوروس : هل ماتت اذن . ؟

الوصيفة : لقد قلت كل شئ

منشدة الكوروس : لقد ماتت المسكينة .

الوصيفة : انك تسمعين ذلك مرة أخرى .

منشدة الكوروس : يالها من مسكينة حدثينى كيف ماتت .

الوصيفة : انها ماتت شر ميتة .

منشدة الكوروس : حدثينى أيتها الوصيفة ماذا دهاها . ؟

الوصيفة : انها قتلت نفسها .

منشدة الكوروس : أى يأس وأى جنون استبد بها فقتلها هذا السهم

الملعون كيف ارتكبت وحدها الموت بعد الموت مرتين .

الوصيفة : بحد سيف مشئوم .

منشدة الكوروس : هل شهدت هذا الهلع أيتها المسكينة . ؟

الوصيفة : نعم شهدته فقد كنت بجانبها .

منشدة الكوروس : قولى ما ذلك ؟

الوصيفة : هى التى قتلت نفسها .

منشدة الكوروس : ماذا تقولين ؟

الوصيفة : انى أقول الحق .

منشدة الكوروس : ان هذه العروس قد ولدت ربة انتقام كبيرة في هذا البيت .

الوصيفة : انه انتقام شديد ولو شهدت ما فعلت ديانيرا بنفسها لذهبت نفسك حسرات عليها .

منشدة الكوروس : وتجرؤ يد امرأة على فعل هذه الفعلة . ؟

الوصيفة : اى والله إنه لفعل فظيع – فاسمعى لتقرّى معى – حينما عــادت وحدها إلى القصر ورأت ولدها في فناء البيت بعد مرقدا مجوفـا ليعود بـــه إلى أبيـــه اختفت حتى لايراها

أحـــد وصرخت وركعت لدى محـــراب البيت تبكى لأنها صارت أيما وبكت كلما مّست شيئا كانت تمسه من قبل - يالها من مسكينة وجعلت تروح وتغدو في بيتها كلما رأت صديقا حميما بكت بكاء محزنا وندبت حظها ، وانها لن تنجب ذرية تخلفها فلما فرغت من نحيبها انطلقت إلى غرفة هيرقل وأنا أتوارى في الخفاء لأبصر ما عسى أن تفعل فرأيتها تفرد غطـــاء فوق سرير هيرقل فلمـــا فـــرغت وثبت وجلست في وسط سرير هيرقل وذرفت دمعا ساخنا وقالت ,, ايه يافراشي وياغرفة عرسى وداعاً فلن تستقبلانى بعد اليوم زوجة سعيدة في هذا الفراش - قالت ذلك ومدت ذراعها بقوة وشقّت ثوبها عند ثديها الذى يمسكه مقبض من ذهب وتركت كشحها الشمالى عاريا فخرجت أعـــدو بكل قوتى لاقول لابنها ما تصنع بنفسها ولم أمكث الا ما يكفى غدوا ورواحا حتّى إذا جئنا رأيناها قد طعنت ثديها وقلبها بحربة ذات حدين . . فلما أبصرها صرخ فقد عرف المسكين أنه كان بحماقته سبب هذه الكارثة قد علم بعد فوات

الاوان انها فعلت ما فعلت عن غير قصد وما فعلته الا طاعة لما أوصاها به المارد وحينئذ انقلب الابن شقيا يلطم وجهه ويبكى عليها ويقبلها ويلصق جثته بجانبها ويصرخ صرخات عالية لأنه اتهمها ظلما بجريمة لم ترتكبها ، ويبكى لأنه اصبح يتيما من أمه وأبيه — هذه هي عبرة هذا البيت فمن يعتمد على ما قد يأتى به الغد في يومين أو أكثر فانما يعتمد على شيء ليس في يده والغد لا يكون إلا بعد نهار نعيشه عيشة مرضية فاستمتع بنهارك قبل غدك .

الكوروس : لا أدرى بأى هذه المصائب أبدأ عويلى فهما خطتا خسف لا خيرة فيهما — في البيت بلاء وفيما تأتى به الايام بلاء ويستوى ما كان وما يكون من هذه المصائب — ليتنى أجد ريحا تحملنى بعيدا عن هـــذه الارض لا أرى وحدى هيرقل المجيد فينزل بى الرعب والموت . . . انهم يقولون انـــه فريسة لآلام طاحنة وانه قادم إلى بيته وهو مشهد فظيع — انه بلاء قريب يبعث بكائى كنحيب بلابل الطير إنى أرى موكبا من الاغراب يحملون هيرقل انهم

يحملونه ويحافظون عليه كأنه صديق ويخطون
خطى ثقيلة صامتة وهو محمول لا ينطبق بكلمة
فهل مات أو هو في نوم عميق ؟

(يدخل هيللوس ومعه شيخ كبير وخدم
يحملون هيرقل على نقالة)

هيللوس : ويلتي يا ابتي اني شقي ببلائك ماذا افعل وماذا ادبر ؟ ياويلتا

الشيخ الكبير : اسكت يابني لا تحرك آلام ابيك القاسية انه حي ولكنه خائر القوى فاسكت ولا تنطق بكلمة .

هيللوس : ماذا تقول ايها الشيخ الكبير اهو حي ؟

الشيخ الكبير : لا توقظ يابني أباك من سباته العميق ولا توقظ مرضه الفظيع الذي ينتابه .

هيللوس : اني أجد هما ثقيلا ، قد جن جنوني .

(هيرقـــل يستيقظ)

هيرقل : ياالهي في أي أرض جئت ؟ اين انا ؟ وبين من البشر اشقى بهـــذه الآلام الطاحنة ؟ ياالهي ياالهي ما أشفاني ان القروح تغتالني .

الشيخ الكبير : أو لم أقل لك أن تدعه يرقد ساكنا لأن ذلك ينفعه ولا تطرد من جفنيه النوم .

هيللوس : انى لا أطيق أن اشهده يتألم .

هيرقل : ايه ياصخرة كينايون التى أقمت فوقها معابد الله أذلك جزائـى يازيوس ؟ في أى بـلاء ألقيتى ومـا كان ينبغي لى أن أشهد هـذا البـلاء بعينى ولا أن أرى هذه الآلام التى ذهبت بعقلى . هل من طبيب حكيم يشفى أوجاعى؟ كلا ليس من دون الله طبيب وهي معجزة ان ذهب عنى هذا الوجع — آ ه اتركونى دعونى أنم ، انى أشقى اين تمسكنى؟ وأين تسندنى؟ إنك تهلكنى . لقد أيقظت وجعا كان ساكنا . إن الوجع يستيقظ ويبغى على — من أين جئتم يا أظلم الهيللينيين ، في البحر وفي الغابات قد طهرتكم من كل بلاء واطمأنت نفسى : والآن قد اشتدت علىّ وطأة الآلام لا يتقدم أحد ليشفينى بنار يكوينى بها ولا بدواء يعالجنى به — أو آ ه ألا يقدم أحدكم بقوة فيفصل رأسى عن جسدى البائس ياويلتا .

الشيخ الكبير : (يحاول أن يمسك بهيرقل وهو ممتد) ياابن هيرقل انى لا أقدر على هذا الأمر فامسكه معى وانظر لعلك تجد لسلامته مالا أجد .

هيللوس : انى ممسك به ولكنى لا أجد في نفسى
ولا في شيء آخر ما يشفى أبى
ان الامر بيدالله وحده .

هيرقل : اين أنت يا ولداه ؟ من هنا ، من هنا خذنى
وارفعنى . يالك من قدر — ان الوجع الاليم
المهلك يسعى . اجل ، انه ينقض على
ليفترسنى — يا بللاس . . انه يمزقنى — يا ولداه
رحمة بأبيك اقترب فلن يلومك أحد اطعنى في
مفاصلى فذلك هو الدواء للآلام التى هيجتها
أمك المجرمة في حق الله جزاها الله شرا بما
جرت علينا من بلاء .
أيها الموت أقبل فأنت خلاصى خلصنى بموت
سريع .

منشدة الكوروس : انى ترتعد فرائصى من هذه البلايا التى حلت
ببطلنا — كيف يرمى هذا البطل بمثل هذه الدواهى

هيرقل : كم قد حملت بيدى وعلى ظهرى أحباء ثقالا
لو ذكرتها لناء بحملها السامعون ، ولم تلق على
زوج زيوس ولا ايروستيه البغيض مثل ما ألقت
على كتفى بنت اينيوس الماكرة قد كست بدنى

بشراك نسجتها ربات الانتقام لتنتقم مني وتهلكني . . اذا التصق هذا الثوب على أضلعي أكل أطراف جلدي وإذا مست عروق الرئة التهمتها وشربت دمي وتركتني جسما هامدا بما في قبضتها من سر . ولم تفعل ذلك بحراب الوديان ولا بجيش العمالقة ولا بقوة الوحوش الكاسرة ولا الاغريق ولا الاعاجم ولا الارض التي طهرتها وانما فعلته امرأة ناعمة ليس فيها خشونة الرجال قد غلبتني دون أن تستعين بسيف .

تعال يابني كن ابن أبيك الحق ولاتجعل املك في منزلة فوق حق أبيك اذهب فخذها من بيتي واسلمنيها في يدى لتدلني على أنك تأسى علىّ فوق ماتأسى عليهـــا . اذهب يابني ولاتتخاذل وارث لأبيك الذى تذهب عليه النفوس حسرات فقد صرت أبكي كما تبكي الفتاة وذلك مالم يشهده أحد قبل اليوم لم يرث لى أحد . كنت أتبع مصيرى الأليم دون أن أرفع صوتي بالشكوى والآن قـــد صرت رقيقا كالفتاة الناعمة واحسرتاه .

تعال وامكث مع أبيك وانظر ما أعالج من بلاء
سأظهر لك ذلك بغير حجاب — (يخاطب
هيللوس والكوروس والمتفرجين) تعالوا انظروا
الى هذا الجسم الشقى تعالوا اشهدوا بلائى —
ويلتاقد عضتنى قوارص الالم . قد سرى في
ضلوعى ولايعفينى من العذاب هذا البلاءالمنكر
يفترسنى — يارب الموت خذنى . ياشهب زيوس
اصعقبنى زلزل وارم يابنى لهيب الشهب . إن
قوارص الالم عادت تعضنى وتنمو وتشتد
قوارصى يا يدىّ وياجنبي ياذراعى العزيزتين
انكما أنتما اللتان قهرتما الاسد الذى لم يغلبه أحد
وقهرتما مارد ليرفا وقهرتما جيشا من مخلوقات
العجائب التى لها سيقان الخيل وتعتد بقوتها
ولا ترعى قانونا ولا تبالى بالقوة .وقهرتما خنزير
الوحش في ايريمانت وقهرتما تحت الارض
ذا الرءوس الثلاثة في ديار الموتى وهو من نسل
اخيدنا الجبار والافعى حارسة بقاع الذهب في
أقصى الارض وكانت لى بطولات كثيرة أخرى
لم يغلبنى فيها أحد — والآن صرت حطاما قد
مزقت أوصالى وغالنى قدر أعمى واأسفاه —

انى أنا هيرقل من خير الامهات وابن زيوس
رب السموات العلى ولكننى رغم عجزى سأنتقم
ممن فعلت بى هذه الفعلة فلتأت ولتتقدم لأعلمها
أن تبلغ العالمين أنى اعاقب المجرمين حيا وميتا .

منشدة الكوروس : ويحى على بلاد الهيللينيين إنى أتوقع لها يتما كبيرا ان فقدوا هذا البطل .

هيللوس : إذا سمحت لى بالرد يا أبتى فأنصت إلىّ رغم مرضك ولن أسألك إلا ما يرضى الحق ـ أطعنى ولا تحنق وإلا فقد تأسى على ما تأسى عليه . . وتفرح سدى بما تفرح به .

هيرقل : قل ما بدا لك وآته فانى مريض لا أفهم شيئا من قولك الغامض .

هيللوس : انى جئت لأحدثك عن أمى وعن مصيرها الآن وعن خطتها التى ارتكبتها بغير قصد .

هيرقل : أيها الشقى يا أشقى الناس أتذكرنى مرة أخرى بقاتلة أبيك . ؟

هيللوس : ان الامر لايحسن السكوت عليه .

هيرقل : لا والله بعد الذى ارتكبت من الجرائم .

هيللوس : لكنك ستقر معى أن الامر لاصلة له بأشغال هذا اليوم .

هيرقل : تكلم ولكن كن على حذر من أن تبدى أنك خلف سيئ .

هيللوس : انى أقول انها ماتت منذ حين .

هيرقل : ومن قتلها فأنت تنبئ بأمر عجيب في قولك المريب .

هيللوس : بيدها قتلت نفسها لم يساعدها أحد .

هيرقل : ياويلتا فعلت ذلك قبل أن أثأر منها بيدى .

هيللوس : ان غضبك قد يهوى ان عرفت الحقيقة كلها .

هيرقل : ان أول كلامك غريب فبين فكرتك .

هيللوس : كل ما في الأمر انها أخطأت وهى تريد خيرا .

هيرقل : تريد الخير ياشر الاشرار وهى تقتل أباك . ؟

هيللوس : انها حين دخلت عليها زوجة جديدة أحبت أن تسحرك كى تحبها فأخطأت .

هيرقل : ومن هذا الساحر الذى علمها السحر بين أهل تراخيس . ؟

هيللوس : انه المارد تيسوس اقنعها ان تشعل حبك بهذة السحر .

هيرقل : ياويلتى قد قضى الأمر قد هلكت . قد هلكت ، قد اطفئ نور حياتى . . .

اذهب يابنى ان أباك قد قضى نحبه ، اذهب فأتنى بكل عشيرتى . اذهب فناد الكيمينا التى كانت امرأة زيوس واذن سأقول لك ما أعلم من علم الغيب .

هيللوس : ان أمك ليست هنا ولكنها تعيش فوق شواطئ « تيرونت »

بجانب البحر قد أخذت طائفة من أبنائك معها وتربيهم ومنهم من يعيش في مدينة طيبة . ونحن الذين نقف بجانبك يا أبى ستجدنا طائعين ولا نعصى لك أمرا .

هيرقل : خذ عنى ما آمرك به — إنك صرت أهلا لأن تدعى ولدى الذى يشبه أباه قد نبأنى أبى نبوءا فيما خلا من الدهر نبأنى انى لن يغلبنى حى ولا يغلبنى الاميت من أهل القبور وهكذا فالمارد الذى قتلته قد قتلنى ميتا كما قالت

نبوءة أبى وللدى نبوءات أخرى شبيهه بهذه النبوءة وهى مصدقة لما بين يديها من النبوءات الأولى قد ذهب إلى غابة أهل سيلا الذين يعيشون في الجبال وينامون على الأرض وأخذت هذه النبوءة من شجرة لأبى تنبئ بلغات كثيرة نبأتنى هذه النبوءة أننى بلغت خاتمة همومى وعنائى وقد صدق ما تنبأت به فلا تفرغ هموم الانسان الا بموتـــه وهاهى ظاهرة بينة يابنى فكن عونا لأبيك ولا تنتظر حتى يدعوك بصوت عال بل تفعل راضيا ما يرضيه فان خير الأخلاق طاعة الوالدين .

هيللوس : ياابتى انى أخشى ألا نتفق في القول ولكنى لا لا أعصي لك أمرا .

هيرقل : مد إلى يدك اليمنى .

هياللوس : مالك تحرص على هذا العهد .

هيرقل : ألا تعاهدنى بغير تردد ألا تثق بى .؟

هياللوس : هذه يدى بغير معارضة .

هيرقل : احلف برأس زيوس الذى خلقنى .

هيللوس : أحلف على أن أفعل ماذا ؟ هل تفسر ذلك . ؟

هيرقل : على أن تنجز ما أسألك .

هيللوس : انى أحلف واقسم بزيوس .

هيرقل : وإذا حنثت باليمين فابتهل أن ينزل البلاء على الكاذبين .

هيللوس : نجانى الله من الكذب سأبر بوعدى وأنا أدعو على من يحنث بيمينه .

هيرقل : أتعرف صخرة زيوس في أعلى « أويتا » ؟

هيللوس : انى أعرفها وكثيرا ما قدمت فوقها قرابين الآلهة .

هيرقل : احمل جسمى بيديك أنت ومن ترضى من أصدقائك واقطع أشجارا كثيرة من ذات الجذور العميقة واقطع كثيرا من ذكور شجر زيتون البرارى ثم ضع جسمى عليها واحرقه بشعلة متوهجة ولا تبكوا ولا تنتحبوا ان كنت ولدى ، فان عصيت ما آمرك به فستنزل لعنتى عليك من قبرى إلى يوم الدين .

هيللوس : ماذا تقول يا أبتي ماذا تفعل بي . ؟

هيرقل : انى أقول ما يجب عليك أن تفعله فان أبيت أن تفعله فكن ابن من شئت ولا تكن ولدى .

هيللوس : ياويلتي كأنك تدعونى ياأبتي قاتلك .

هيرقل : بل انت منقذى وطبيب آلامى .

هيللوس : كيف أحرق بدنك ثم أكون طبيبك المواسى

هيرقل : ان كان ذلك يهولك فافعل ما عداه .

هيللوس : لن أتردد في حمل جثتك .

هيرقل : وما أمر النار التى حدثتك عنها .

هيللوس : نعم ولكنى لن امسها بيدى وما عدا ذلك فسأفعله ودع عنك نصيبى .

هيرقل : ذلك حسبي ولكن زد فضلا قليلا على افضالك الكثيرة .

هيللوس : حتى ولو كان فضلا كبيرا فسافعله .

هيرقل : أتعرف بنت :: ايروتوس :: .

هيللوس : أتريد أن تمول يولى فيما اظن .

هيرقل : إنك عرفتها وذلك ما أوصيك به . فان مت وأحببت أن ترعى حرمات أبيك وما حلفت من الايمان فتزوجها ولا تعص أباك يابني ولا تجعل لأحد دونك أن يستأثر بالتي جاورتنى في فراشي . ارع حرمات فراشي يابني استجب لى فان صدقتنى في الكبيرة ولم تصدقنى في أبسط الأمور ضيعت ما أحمل لك من جميل .

هيللوس : يالهي ان الغضب على مريض شر ولكن من ذا الذى يحتمل أن يرى من يفكر بهذه الطريقة؟

هيرقل : انك تتكلم كأنك لن تنجز شيئا مما قلته لك .

هيللوس : أليست هى سبب موت أمى وسبب بلائك . من يرضى بذلك ان لم يكن مريضا بغضب الله انى أوثر أن أموت على أن اعاشر اعدى اعدائى .

هيرقل : هذا ا الرجل فيما يبدو لن يحتمل مصيرى بعد موتى لكن لعنة الآلهة ستلاحقك ان لم تفعل ما أمرتك به .

هيللوس : يالهى انك لن تلبث ان تتكلم كلام المريض .

هيرقل	:	إنك ايقظت فيّ ألما كان نائما .
هيللوس	:	يالى من شقى هل أجد من مخرج في مأزقي .
هيرقل	:	ليس على العادلين إلاّ ان يسمعوا كلاموالديهم .
هيللوس	:	انى اتعلم الكفر بالحرمات ياأبتى .
هيرقل	:	لا محرم عليك أن ترضيـــنى .
هلليوس	:	أتأمرنى أن أفعل ما يرضى الحق .
هيرقل	:	نعم وأنا أخذ الآلهة شهداء على ذلك .
هيللوس	:	اذن سأفعل ولا أعصى لك امرا واشهد الآلهة على ذلك ولن اكون امرأ سوء إن صدقت يا أبتى .
هيرقل	:	قد أحسنت الختام وانك لتجمع إلى أفضالك فضلا عاجلا إن القيتنى في النار قبل أن يعاودنى مرضى فهيا فارفعنى انه لا نهاية لآلامى الا هذه النهاية الصارمة .
هيللوس	:	ليس هناك ما يمنع من نفاذ ذلك لأنك تأمر به وتلزمنا نفاذه يا أبتاه .

(هيللوس ينادى رجالا يحملون هيرقل معه وفي هذه اللحظة تفتح أبواب القصر وتظهر يولى على عتبة القصر هى وسائر السبايا)

هيرقل : اخرجى أيتها الروح العصية قبل أن يرتد إلى وجهى . كممى فمى بحجرين من حديد واسكتى صياحى فانك تتمين عملا سعيدا رغم انفك .

هيللوس : احملوا معى يارفاقي واغفروا لى كثيرا ما اكفلكم به لا تلومونى . لوموا الآلهة التى خلقته ثم يرضون عن مثل هذه البلايا تقع على من يسمى ابنهم . قد حجب الغيب والغد عن الإنسان وصارت أيامنا شيئا نرثيه وهو يخزى الآلهة فمن احتمل مصيراً كمصير هيرقل قد احتمل اشق مصير البشر .

منشدة الكوروس : (تخاطب يولى) لا تمكثى أيتها الفتاة في هذا القصر لتشهدى الموت يتلو الموت والبلاء يتبع البلاء وآلاما جديدة لا يعلمها إلا الله وكل ذلك من فعل زيوس .

تذييل "أسرار الأساطير"

من يألف الكتابة المقدسة يعلم ان الصور الهيروغليفية لا تراد لذاتها وانما هى اداة تؤدى الى حقيقة الكائن الحق ... فماذا يعنى المشيدون لمعبد طيبة بمصر اذا دخلت المعبد بين صفين من تماثيل جسمها اسد ورأسها كباش بسطت رؤوسها فو... ملوك كانوا السلف الصالح لأبطال هذا المعبد ... الكبش فى رعية الاغنام هو الاول والهادى وفي أثره تسير الرعية ، فهو رمز لرعاية الله وهدايته ورمز لتواضع الانسان وأدبه .

وماذا يريد المصورون الذين زينوا تاج الملك بحية فوق غرته ونصب عينيه ... الحية رمز للحياء والخوف ، والحية في لغتهم المقدسة هي الحياء من الله وخشية الله وهي صفة الحياء عند اولياء الله الذين يغضي من مهابتهم ... والحياء كان أخص صفات العادلين الذين يخشون عار النقص أشد خشية ويوم يضيع الحياء والعدل فلا يبقى للانسان سوى آلام الحياة .

ويرمزون للخير بالشمس لأن الشمس عادلة ترسل شعاعها ونورها للناس كافة وأولياء المعابد جعلوا الخير فى منزلة فوق الشمس ... وأفلاطون ، يعرض فلسفة المعابد التى ورثتها أمة الاغريق من معابد مصر .

« من في آلهة السماء تستطيع أن تعده ولى هذه النعمة وبضوئه تبصر ماترى ،
« ويهيىء للعين أن ترى أوضح الرؤيا . »

« فقلت : هو إلهك وإله قوم آخرين .. أى الشمس .

« ألا تجد قرابة بين الابصار وبين هذا الاله ؟ . »

« ما هذه القرابة ؟ . »

« ليست الشمس هي الابصار ولا الأداة التي يحدث بها الابصار أى العين
« هذا حق . »

« لكن العين هى أت الحواس قرابة بالشمس . »

« أجل . » ــ « العين تستمد قوة الابصار من فيض يأتيها من « الشمس » .
« وذلك حق . »

« الشمس ليست الابصار وليست سبب الابصار وهى تُرى بالأبصار » .

« هذا حق » . « اذا فاعلم انى أريد أن أقول أن الشمس بنت الخير قد
« ولدها الخير وهي شبيهة به .. والخير يؤدى فى فهم الأشياء وادراكها بالعقل
مثلما تؤدى الشمس فى ابصار الاشياء ورؤيتها » .

« فقال : كيف يكون ذلك .. زدنى علما » .

« فقلت له : انت تعلم أن العينين ان التفتا الى اجسام لا يضيؤها ضياء
« النهار فانهما يعشيان ويكادان لا يبصران حين تلتفتان الى مصابيح الليل كأننا
« أطفئت فيهما ملكة الابصار » .

« فقال : هذا حق » .

« فقلت : اذا سلط عليهما ضياء الشمس أبصرتا ابصارا جليا .. ويظهر أن
« ملكة الابصار ملازمة للعينين » .

« فقال : .... ثم ماذا » .

« فقلت : قس على ذلك النفس اذا سلط عليها ضوء الحقيقة وجوهر الاشياء
« تعلقت بهما وفكرت وتعلمت وبدت كأنها أداة للفهم والعقل ، واذا التفتت النفس
« الى الاشياء العارضة الزائلة لم تستمسك منها الا برأى سطحى وتتخبط ذات
« اليمين وذات الشمال تضرب اخماسا فى أسداس كأنها لا تملك ملكة الفهم والعلم » .

« فقال : ذلك ما يبدو » .

« فقلت : فاعلم ان الخير هو الذى يمد العلم والعالم بالفهم والحقيقة ــ وهو
« سبب العلم والحقيقة في المعلومات . واذا كان العلم والحقيقة شيئين جميلين
« فاعلم ان الخير أعلى منزلة منهما . وكما قلنا في المرئيات ان الضوء والابصار
« متصلان بالشمس دون أن يكونا هما الشمس . وفي العلوم قس على ذلك .
« الحقيقة والعلم متصلان بالخير دون أن يكونا هما الخير ، فالخير في منزلة أشرف
« من منزلة الحقيقة والعلم » .

« فقال : انك تؤتى الخير جمالا منقطع النظير لانه يمد العقل بالعلم والحقيقة
« وهو أكبر جمالا من العلم والحقيقة »(١) .

★★★

وآداب النحت رمزت لما ادرك الانسان من قوة الهية وما صبا اليه الانسان من حكمة الهية بصور من خلق التصوير والنحت .. واقتربت الاساطير من طبيعة التصوير والنحت في تاريخ الكتابة المقدسة ، فهى أحاديث من دين السلف الاول ضربت مثلا لما قد يلقى الانسان بعدله وورعه من سعادة وما قد يلاقى باعتداده وتجبره من بلاء ، والاساطير ورموز التصوير كانت كالكتابة المقدسة اداة تعبير تعبر عن حقيقة مطلقة كانت ميراث الازل وعاصرت هذه الكتابة الرمز عن الحقيقة بصور الحيوان .. لا نلبث أن نسلط عقولنا على الاسطورة والرموز حتى تفتح الرموز أسرارها فتبصر الانسان بسعادته وشقوته فى عمر الازل .. وورثت الشعر الاغريقي فى شعر هومبر وخلفائه وفي شعر التراجيدية الاثينية فى القرن الخامس ق . م . : « دين المعابد وسنة المعابد في الفهم والتأويل » .

★★★

نفذت علوم المعابد وموسيقى المعابد الى أقصى آماد المثل الاعلى وحرصت العلوم والكتابة اذن على ان تعصم الانسان من التمادى فى باطل الحكم بظاهر الاشياء وقربته بالصلاة والتأمل الى الحقيقة التى لا تبديل لها ...

بين أنامل المصورين الذين نقشوا صـــورهم على وجه معابد العدل ، وبين أنامل الشعراء التى شدت قيثارتهم دين هذا الزمان وحكمته صلة لا تنكر ... الانسان حى هالك من شيمته الخطأ ولا يعصمه من نفسه سوى العدل والتقوى .

« تعال يا أخيل طامن قلبك العالى .. انه لا ينبغى لك أن تحمل قلبا قاسيا
« والآلهة أنفسهم رحماء والآلهة أكبر منك فضلا ومجدا وقوة .. يستغفرهم الانسان
« ان أخطأ أو زلت به قدمه بما يقدم لهم من ضحايا الانعام وما يضرع به من ضراعة فى
« صلاته وما يتصاعد من دخان القرابين التي يقربها ، فالمغفرة والتوبة والصلوات

---

(١) افلاطون : **الجمهورية**

« هن بنات زيوس العلى القدير وهن يخرجن ضارعات فى اثر الخطيئة وهن ذوات
« وجه متجمد وعين خاشعة اما الخطيئة فهى قوية صحيحة الساقين سباقة تنطلق
« فى طول الارض وعرضها لتؤدى البشر وتمضى الضراعة فى أثرها لتداوى آلامها
« ومن يمجد بنات زيوس اذا اقترين منه ينصرنه نصرا كبيرا ويستجبن الى ضراعته
« ومن يردهن منكرا غاشما فانهن يضرعن الى الله ان يرميه بالخطيئة وليكفر عن
« خطيئته . » (١)

ومن يقرأ شعر هومير بمعزل عما ألف الانسان أن يقرأ من كتابة المعابد قد يعجب من رموز لا تراد لذاتها وانما هى أداة لما وراءها من حكمة الابد . لن يعود أوليس الى وطنه قبل أن ينتصر على نفسه لأن مغالبة النفس أكبر درجات النصر .. وشبهت الشهوات بامرأة فاتنة اذا سقت انسانا من شرابها مسخ الانسان قردا وخنزيرا وعوى عواء الذئاب وصال صولة السباع . وشبه البطش بسيكلوب له عين واحدة وهو آكل البشر ، وشبه الملق والاطراء بجزر الموسيقى التى تجذب وتهلك من يصغى اليها . وفرض على البطل الا يعود الى وطنه قبل أن ينزل الى ديار الموتى ويعرف ما يشغل الابطال في عالم الخلود . لا يشغل أخيل الا أن يفلح خلفه فيرث فضيلته من بعده واذا قال له أوليس أنه لا بد أن تكون له منزلة الصدارة والسيادة بين الموتى مثلما كان في حياته بين الاحياء فيقول أخيل : لا تزين لى وجه الموت فانى أوثر أن أكون خادما أرعى بقرة فلاح فقير على أن أكون ملكا على الموتى ... وهذه الحكمة خلاصة ما يرجوه الملك السعيد ألا يقضى على أمته بالفناء والموت وان يحكم أمة حية سعيدة .

★★★

رموز الكتابة ورموز التصوير ليست سوى مفاتيح تفتح ابواب النظر المطلق الى عالم الحكمة .. وليست علوم المعابد الا فنونا تمتد الى أقطار الجمال والخير .

وعلمت أساطير المعابد أنساب الفضائل التى تتجمل بها أخلاق الفاضلين .

الحكمة التى تلد ذرية حكيمة كانت أول زوجات زيوس .

---

(١) هومير : الالياذه !!!!

وتزوج زيوس ربة العدل والذمة وهي أم الفصول والقوانين الرشـيدة والعدالة والسلام وتلد المقادير التى تقضى على الانسان اما بالسعد واما بالشقاء .

وتزوج الذاكرة التى ولدت ملهمات العلم والشعر .

★★★

والرمز لانساب الله بفضائل العدالة والسلام الذى تلده العدالة والنعم التى تلد السلام ومن نعم السلام العلم والموسيقى والذرية السعيدة وهى آداب مشتركة بين نحت المعابد وشعر المعابد .

« الامن والسلام أخوا الحلم والعلم ومن ذرية العدالة التى تزدهر المدائن بهـا
« .. بيدهما مفاتيح النصيحة لمن أراد السلم أو الحرب .. ويملكان بمقـدار محكم
« ان يخلدا للعفو .. » .

« وان طوى أحد صدره على التكبر والاعتداء وأصر على القسوة ، تصدى
« السلام للاعتداء وأنزله من صياصيه .

رموز حمامة السلام والانغام والخير والذرية السعيدة والعلم والنهضة لعقاب المعتدين كلها رموز نحتها كتاب المعابد « طيبة بمصر » ... قبل أن ينشد موسيقاها شعراء الاغريق في القرن الخامس ق.م.

ومن تقرب من شعراء المعابد وناحتى النقش والتماثيل حتى ايام سوفوكل وفيدياس وسقراط في بلاد الاغريق يجد الشاعر قديسا نبيا يؤم رهط المنشدين في صلوات العدل ... وموسيقاه تنفذ الى أسرار الله في الصدق والحقيقة ويجمل شعره برموز الاساطير ، ومن يعقل رموز الاساطير يجد ضميره فى ملك اللـه والحقيقة وهو لا يعبث عبث الهوى في اختيار الاساطير كما فعل خطباء السوفسطائيين بعدما خرجوا على دين المعابد والعدل ، لكن شعراء المعابد حرصوا كدين المعابد على الصدق والحقيقة .

والاساطير قول مرن مطاوع قد يصوغ منه الشاعر ما يرضى نفسه ... ويفرط فى الحق مرضاة لهواه ... كما حكم الدايائيون لاوليس وآثروه على أجاكس وورثوه خلافة أخيل على سلاح أخيل فلما ظلموا أجاكس قدره جن وانتحر ... والشعراء

الذين يحرصون على الصدق لم يفرطوا في الصدق فى سبيل الخيال والشعر ، وفعلوا ما فعل بندار .

« التجاوز عن الصدق آفة قديمة كريهة تلاحق الاساطير ذات الرأى الملتوى
« وهى المكر السيء فى القول وهى شر وعار وهى تطمس نور الماجدين وتنشر ذكر
« الخاملين الاعطب . » .

« انى أبتهل الى بارئى الا يرمينى بهذا الخلق وان يهيىء لى ما دمت حيا
« ألا أفرط فى الصدق مثقال ذرة وألا اخلف لذريتى بعد موتى عار الذكر ، فمن
« الناس من يبتغى ثراء الذهب ومنهم من يبتغى ان تكون له أرض غير ذات مدى
« أما أنا فانى أتمنى أن يوارى الثرى رفاتى بعد ما أقضى زمانى أرضى قومى وأحمد
« من ينبغى له الحمد وأحل الآثمين وزر آثامهم ، والفضائل كالشجر الذى ينبثق
« اذا سقاه ماء الندى وكذلك تنبثق شجرة الفضائل فى سماء الاثير اذا مسها ثناء
« العلماء العادلين . » .

★★★

الاساطير والمعابد حفظت سير رجال من أبطال الانسانية الذين مكثوا قوة في حياة الناس ومثلا أعلى لآدابهم وكانوا آباء المدائن الذين أقاموا دعائم المدنية ... منهم رجال سعداء مازالوا ينعمون لدى الآلهة بنعيم الخلود ومنهم من غرته سعادته فعصى الله وخرج على العدالة ونزل عليه عقاب الله والعدل .. وحفظت الاساطير اسطورة الانسان ان مجدته السعادة وصورة الانسان ان خذله البغى والشقاء .. والذين مجدت الاساطير سيرتهم بما قدموا للانسانية من خير يمكثون في جنة السعداء خالدين فيها أبدا فى سلام آمنين بما قدمت أيديهم من خير وما جاهدوا في حياتهم من جهاد مجيد يعيشون عند الله بمجدون سنة الله المقدسة .

الاساطير كانت مرآة ينظر فيها كل حى عاقل الى وجهه ومصيره ، ويتفكر فيها كل انسان حى عاقل فيرى قانون الله وقانون العدل الذى يمسك السموات والارض والكون جميعا .

« لو أن احدا من البشر مجده الله فليس كمثل تانتالوس أحد ، ولكن
« تانتالوس عجز عن أن يمسك عليه نعمته فغرته سعادته ونزل عليه عقاب من

« جنس غروره وهو حجر ثقيل ألقاه الله فوق عنقه كلما هم بأن يزحزحه عن
« راسه حرم نعمة الحياة » .

فرض عليه أن يشقى بهذه الحياة شقاء لا ينقطع وكان ذلك رابع عقاب ينزل به بعد ثلاثة اخر فقد سرق من الآلهة الخالدين شراب الخالدين وطعام الخالدين وسقى من شرابهم وأطعم من طعامهم رفاق شرابه من البشر ومن يحسب أن يخفى على الله خافية من أفعاله فقد ضل ضلالا بعيدا (١) .

★★★

الاساطير التى صورت عقاب تانتالوس صورته في صورة الكادح الذى يحمل حجرا ثقيلا من باطن الوادى ... ويرفعه الى رأس الجبل ولا يكاد يبلغ رأس الجبل حتى يهوى الحجر يتدحرج الى باطن الوادى ... فينزل تانتالوس ليرفعه مرة ثانية الى رأس الجبل وما ينقطع عناؤه ولا يكاد يعفى من هذا الشقاء وصورت الاساطير عقاب تانتالوس بأن يقف فى حديقة ذات ثمر شهى كلما مد فمه ليأكل تفاحة الشجرة نأت الثمرة عن فمه فهو يشتهيها ولا تنالها يده أو يقف في بحيرة ماؤها عذب يطفو ماؤها الى فمه فان هم بالشرب غاض الماء .

وتانتالوس أسطورة الكادحين في هذه الارض وهى صورة من تخلف الايام ظنونه ولا يجزى بسعيه خيرا .

★★★

---

(١) بندار

الاساطير والمنطق

انحدر نهر المعابد من مصادره التى بينت للانسان بينات العدل والتقوى الى ما ألف شعراء التراجيدية في أثينا في القرن الخامس ق.م. أن ينشدوا من ميراث العدل والتقوى في لغة الاساطير الدينية التى حفظتها المعابد وحفظها شعراء الاولين ... وما بال شعر التراجيدية يمكث مغمورا مجهولا حتى يجعله اشيل وسوفوكل ويوريبيد في القرن الخامس علما مشهودا بحفظ كثيرا من دين الاولين ويصارع ما يهدد هذا الدين من كفر ... لم يأت علماء الادب بدليل على نشأة التراجيدية يرد على هذا السؤال وكان حسبهم أن يقولوا ان التراجيدية كانت تمثل في عيد « ديونيروس » وكانت أثينا تتولى هذا العيد ، تختار شعراءه وتتوج أقدرهم على تصوير مثلهم الاعلى في الجمال والخير .. وكان دين المعابد والعدل لا يخص الآلهة بأجمل ثمرات العدل شكرا لله الذى تولاها وأنبتها ... ومن أسعد ثمرات العدل ان تفلح ذرية الابطال فتظل مدائنهم وبيوتهم حافلة بالمتوجين من أبطال القول والعقل ... وتقرّب لله حاملات القرابين أشهى ما تثمر الارض ويقرب النابغون لله أمجد شعرهم وموسيقاهم وتحفظ المعابد امجد أعمال النابغين .

ومن ينظر الى ما بقى من أطلال المعابد يجد في آثارها صراعا قدر على أولياء الله أن يدفعوه ، وما بنيت أكثر المعابد الا لذكر الله وذكر الابطال من أولياء الله الذين ردوا العدوان عن آلهتهم ومعابد آلهتهم .

وحينما غلب الاغريق جيوش الفرس فى الحرب الميدية كانوا ينشدون نشيدا ذكر اشيل طرفا منه : .

« هبّوا يا ابناء الهيللينيين ... حرروا وطنكم .. حرروا أبناءكم ونساءكم

« حرروا معابد آلهتكم وقبور آباءكم وأجدادكم (١) » .

---

(١) اشيل : الفرس ٤٠٢

وتفسير هذا الصراع قديم في عمر الانسانية منذ قسمت المواهب والمقادير على الناس ... فدين المعابد خص المؤمنين الآمنين العاملين العادلين بالسعادة والشرف والخلود ومن نبغ منهم توجه العدل وجعل له الحكم والملك والعلم وكل ثمرات العدل والخير ... وما يبلغ العادلون مجد العادلين اعتباطا وحمل العادلون أشق تكاليف المجد والحياة فهم في مطالع المجد حتى يشرفوا على مثل الله الاعلى وهم أولياء الله في الآخرة .

وحيث نبت هذا الدين بلغت الحياة أشرف صورها والذين لم تهيىء لهم الحياة سبل الخير تتطاول آمالهم الى حرب العادلين وهدم ما بناه المفلحون وثاروا على رب المعابد الذى لم يقدر لهم من الملك والعلم مثلما قدر لأوليائه المفلحين ... هذا الصراع نبت في عمر البشرية منذ كان للانسان جاريبيت على جمر الحسد كلما اقبلت نعمة فطرقت باب جاره ولم تطرق بابه ، وقد شكى العامة فى عصر هذه المدنية تفرد أشرافهم بالعلم والملك ، واشعلت نار الحرب كلما وجد العامة سبيلا الى المساواة والغلبة وقد عدا الجار المحروم من العلم والفضل عدو الذئب على أهل الفضل .. وكان اله الحرب والفتنة يتربص الدوائر بذرية العادلين .

ويرى أفلاطون أن ذرية العادلين ان أغفلت مطالع الفضيلة الشاهقة مكثت غافلة كأبناء المحرومين حتى تهجر الفضيلة ضمائرهم ويكفروا بآلهة آبائهم .

« دعنا نستبين كيف يصبح من أنصار العامة (الديموقراطية) من كان « قبلئذ من أنصار حكومة الافقياء (الاوليجارشية) ويبدو أن التحول فى أكثر ما يحدث لا يتم بغير هذه الصورة » .

« ما تعنى بهذه الصورة ؟ »

« اذا شب فتى كما قلنا فى الجهل والحرص على المال وذاق طعم لذات « الفارغين كشهد زنانير الخلية وعاشر هذه الحشرات الضارة الضارية التى « تستطيع أن تيسر له كل متاع فيما يستسيغ من لذات ، فاعلم حينئذ ان ضميره « يبدل بعد التشيع لحكومة الاقلية ويصبح من أنصار الديموقراطية فقال : ذلك لا محالة « واقع » .

فقلت : المدنية تغير حكومتها اذا تلقى حزب من حزبيها المتصارعين حليفا من

خارج المدينة على دين هذا الحزب ، والفتى يتغير اذا وجد نصيرا من الشهوات قريبا وشبيها باحدى نزعات نفسه .

(هذا حق) .

فاذا همت نجدة تغيث ما بنفسه من تحزب للاقلية الحاكمة ... اذا أقبل عليه أبوه أو احد من ذوى قرباه وأخذه باللوم والتجريح حينئذ ينقسم ضميره على نفسه وتنطوى نفسه على شقاق بين حكم العامة وحكومة الاقلية .

(كيف لا يحدث ذلك) ؟

وقد يحدث ان يغلب التحزب لحكومة الاقليـة على التحزب لحكومة العامة « الديموقراطية » وتطفأ بعض شهوات النفس أو تسكن ويغلب الحياء على نفس هذا الفتى ويجد سبيله الى التهذيب مرة ثانية .

(فقال : ان ذلك يحدث أحيانا) .

فقلت : وقد يحدث أن بعض هذه الشهوات التى أطفئت يستيقظ بدلا منها في النفس شهوات اخرى من جنسها ثم تنمو لان الاب قصر فى تهذيب ابنه ثم تستفحل وتتكاثر .

(فقال : ذلك الذى يكون عادة) .

فقلت : ثم تجذب الفتى الى ذات الاصدقاء والشهوات وتتكاثر هذه الشهوات سرا وتلد الحية حيات كثيرة .

(فقال : ذلك ما قد يكون) .

ثم تنتهى هذه الشهوات فتحتل نفس هذا الفتى مثل ما يحتل العدو حصون أعدائه اذا آنست حصون النفس خلوا من العلوم ومن الاخلاق الفاضلة ومن الافعال الصادقة وهى خير ما يحرس قلاع النفس وخير ما يحمى ارواح الذين يحبهم الله ويحبونه .

(فقال : أجل أن العلم والتهذيب بالحكمة خير جند فى حصون النفس) .

نقلت : ثم يعود مرة ثانية الى أكلة اللوتس (أى زنابير الخلية التى تعيش من جهد غيرها) ويعاشرها جهرة واذا اقبل عليه احد من ذويه لينقذه وينصح فيه ما بقى له من ميل الى القصد والتدبير هبت الجنود من مبادىء الروح الكاذبة فاوصدت ابواب الحصن الملكى في روح هذا الفتى ونبذت هذه النجدة نبذ الحصاة وتوصد أبوابها في وجه كل نصح حكيم يأتيه من احد المجربين وتستبد المبادىء الكاذبة بالحصن وتدفع عنها بكل حرابها وتسمى الحياء غفلة وتزجره بمزجر الكلب وتسمى الحكمة عجزا وتزدريها وتلفظها وتنفى الاقتصاد والتدبير فى نفقات الحياة وتعتبرهما من اخلاق العبيد وخشونة الزراع ويناصر هذه المبادىء الكاذبة جنود من الرغبات التى لا تفيد .

(قال : هذا حق) .

فاذا أفرغت المبادىء الكاذبة قلب الفتى من الفضائل وطهرت روح من تسيطر عليه كأنما تدخله في الاسرار الكبرى .

يومئذ تزف فى ضميره البغى والفوضى والفحشاء والمنكر والفجور متوجة بتيجان النصر في زفة من المنشدين والراقصين وتدعوها بأحب الاسماء وتدللها فتسمى البغى تهذيبا وتسمى الفوضى حرية وتسمى الفجور عظمة وتسمى الوقاحة شجاعـة .

ألسـت ترى أن هذا الفتى منذ شبابه سيبدل ما تعلم من أخذ النفـس بارضاء الرغبات الضرورية ويتخذ سبيل التبرج وارضاء شهواته التى لا تنفع والتى لا ضرورة لها .

(فقال : هذا قول مبين) .

نقلت : ثم يعيش بعدئذ هذا الرجل ينفق من ماله وجهده ومن وقته في سبيل ما يلزم وما لا يلزم من الرغبات فان كان حسن الحظ ولم تغرقه الشهوات الفارغة ... فاذا تقدمت به السن وسكنت ريح شهواته فانه يرد الى حصن نفسه فريقا ممن نفى من الرغبات اللازمة ولا يسلم كل نفسه لغزاة الحصن وتستوى لديه كل الرغبات، يسلم زمام نفسه لمن يحضر منها كأنما اختارها الاقتراع الى ان يشبع هذه الرغبة

ثم يسلم زمام نفسه لما يأتي بعدئذ من رغبات رغبة بعد اخرى لا يستبين ولا يحتقر واحدة منهن ويقيم المساواة بينهن .

(ذلك حق) .

أما العقل والحقيقة فلا يحلّ لهما أن يدخلا حصن نفسه ولا يجعل لهما سبيلا الى أن يسهرا على الدفاع عن الحصن ، فان قال له قائل أن العقل والحقيقة من متاع الجمال والخير ، وما عداهما من رغبات من أهواء الشرور . ومن واجب الانسان ان يتجمل في أخلاقه بالعقل والحقيقة ، وأن ينزلهما منازل الشرف فى نفسه وان ينبذ ما عدا ذلك من رغبات فاسدة وأن يجعلها تحت قدمه ودبر أذنه فانه لن يستمع الى ذلك ويقول انها جميعا سواء وكلها جديرة بالاحترام على سواء [1] .

★★★

ما قد يصيب الانسان اذا أقفرت نفسه من مبادىء التهذيب الحكيم .. ان يؤدى في حصنه الخالى من جنود العدل والخير كل ما يرضى عجزه ، وجهله وقلة حيلته ... وطالما هذب الانسان بالعدل والخير وأخذ الانسان منذ صباه بتهذيب العدل والخير ظلت معابد العدل والتقوى عامرة بصفوة النابغين في الاقوال والافعال ؛ فان أقفر الضمير من مثل العدل والخير وأصبحت نفس الانسان بالجهل والرذيلة والتعليم الفاسد مقفرة من الخير كالربع الخالى والاطلال المهجورة تولى الانسان بقلبه وعقله عن معابد العدل والخير ... فأى الحربين كانت اشد فتكا بمدنية المعابد ، أجنود الآسيويين التى هبت على معابد مصر ومعابد الاغريق كجراد الصحارى أم حرب ضمير الانسان اذا افرغ ضمير الانسان من دين العدل والخير وغزا ضمير الانسان غرور الانسان وسطوة الحكم وحب الاموال والثمرات ، ... غزو ضمير الانسان بدين غير الذى آمن به اولياء العدل والخير كان أعمق بلاء الانسانية لدى شعراء هذا الزمان فقد شبوا وهذبوا بدين العدل وكان ذلك البلاء أخص ما صرف له أشيل وسوفوكل واريستوفان وسقراط تبوغ بيانهم .

يوم يتولى ضمير الانسان فلا يستشعر رهبة العدل ... يتولى الانسان بنفسه مغمورا مخمورا عن المعابد ... وتسمع أطلال المعابد مأساة بنى الانسان ... وتهجر المقدسات فى المعابد اذا لم يقدس العدل فى ضمير الانسان وغاية ما نعقل من

---

(١) افلاطون ، الجمهورية ، الكتاب الثانى .

ترجيع موسيقى المعابد التى حفظتها آداب الاولين أن ترد الحياة الى ضمائرنا والى ما خلا من أطلال معابد الاولين ... وأبقى المعابد ما أيقظ الانسان في ضميره من عمد الخير وما آمن به الانسان من دين العدل والخير ولا تعدو الصدق ان جعلنا من آثار العادلين معابد كالتى آمنوا بها ، فالمعابد مرآة لضمائر المؤمنين الذين بنوها .. وضمائر المؤمنين الذين أبقى الدهر آثارهم ما تزال تقرأ فى آدابهم وحكمتهم ... ومن الصدق أن نقيم من آثارهم معابد تقربنا من مثل الله الاعلى ـ فآثار القديسين من اولياء الخير والعدل ليست شيئا حتى يقيم فى ضمائر الانسان معبدا للعدل والصدق كالمعابد التى هذب بدينها رجال كسوفوكل وسقراط .

★★★

وهؤلاء القديسون بزت موسيقاهم كل بيان . ومهما بلغ أولياء المعابد من محكم البيان في التصوير والنحت والعمارة فشعراؤهم بلغوا من محكم البيان والصدق ما لم يبلغه التصوير والعمارة .

والنحت يصور صورا ماثلة وتسرى الموسيقى ويسرى الشعر في سرائر الانسان حيثما ذهب .. ومن ينظر الى ما خلفت المعابد من صور وما خلفت موسيقى المعابد من شيء .. يجد بين سائر فنون المعابد أسباب التهذيب والخلق .. فقد تهذب الشاعر بتهذيب القديسين وأروع الشعر ما شابه النحت والتصوير ...

ومطالع الشرف ان يؤدى الشعر والموسيقى والنحت صور الفضائل المقدسة التى تجعل الحى الهالك مثلا من كمال الله .. يوم ينفذ الانسان الى نبوغ العقل والجسم ... ويتشابه في تهذيب المعابد بيان النحت والشعر .

★★★

وأولياء العدل ملوك بيدهم عصا الملك والسعيد منهم ملك كالذى ينشد (بندار) محامده اذ بيده عصا العدل ويجمع ثمرات الفضيلة من نبتها الباسق وهو فارس عن يمينه فوق عربة الفروسية ناصح ينصحه :

(اعبد الله وأكرم والديك)

الانسان ... ليس الها لانه فان ولله القوة والعزة جميعا ومهما بلغت مدارك الانسان من مجد العلم فانه لا يعلم مصير حياته واذا اصبح لا يعلم خفايا المقادير التى قدّرت عليه بالسعادة والشقاء ...

وفضيلة الانسان التى ورثها عن آبائه الاولين كفضيلة الزرع والشجر ، تثمر عاما وتجدب عاما . وحجب الله عن الانسان معرفة المصير ... ويركب الانسان لمصيره احلاما تغريه ان يأتى بمالا طاقة له به ، والامل لا يستحى ومن ابتغى ربحا فلا يبغه شططا وليقسط في مطامعه ومن طلب مالايدرك فقد ركب جنونا عقيما .

الحكمة في دين المعابد أن يحذر الانسان نفسه ولا يتطاول الى ما يجاور طبيعة البشر . فمن أوتى السعادة والثراء والمجد فلا تغره نفسه فيحسب أنه اله ـ وما من زينة تزين الرجل الا الحلم في الغضب ، والروية فى الطموح والاعتدال في الغلبة والتواضع فى القوة والحياء فى المجد، والانسان مكلف بأن يرقى بالعدل والتقوى مشارف المثل الاعلى .

تحوم حول عقول البشر اخطاء لا تحصى ولا تدرى نفس ان وجدت نجاحا ما تحمل عقباه من خير أو شر في حياة الناس .

ومجد الانسان أن يأتى مكارم الافعال ويكسب حب قومه وحب الامم وهو مستقيم يمضى فى حياته على الطريق السوى ، يكره الافراط والبغى ويتبع ما أورثه آباؤه الصالحون من حكمة .

« الحظوظ السعيدة بنات زيوس والحظوظ السعيدة توجه السفن الجوارى
« فى البحر وتسير فى البر الرأى الرشيد فى سياسة الامم وتسير الحروب الطاحنة » .

« آمال البشر ترتفع حينا وتهوى حينا كموج البحر ،وقوة تتجلى عن أحلام كاذبة
« ولا يستبين أحد من البشر ما علم الله من مصير الامور ـ قد عميت بصائرنا فلا
« ترى ما تضمر الايام وقد يقع مالا يتوقع أحد ، فينقلب الفرح حزنا ومن أحاط
« به اعصار فيه نار فقد ينقلب بأسه فرجا فى لمح « البصر ... » .

★★★

الذين آتاهم الله العلم والحكمة يزينون ما خصهم به الله من خير ومن يمش فى طريق العدل يجد نعما كثيرة .

والحمد لابولون الذى علم الانسان أن يشفى أمراضه الثقيلة ووهب الانسان القيثارة ووهب العلم والفنون لمن يختار وأدخل في قلوب الناس حب العدل والوئام .

الانسان الحكيم والحليم العادل التقى النقى كان زينة المعابد ـ ومن أوتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا . ومن اختارته ملهمات الموسيقى ليكون امام العادلين في معابد الخير والعدل رفعته الى عالم المثل الاعلى وهو عالم كما يقول أفلاطون :

« هذا العالم الاعلى من السماء لم ينشد نشيده شاعر من شعراء هذه
« الارض ولن ينشد نشيده الحق وهذا بيانه : ان على قائل الصدق الا يهاب
« قول الحق . فهى حقيقة جلت عن اللون والشكل ولا يدركها اللمس لانها جوهر
« الحقيقة ولا ندركها الا بالعقل وحده وببصيرة الروح التى لا تدرك الحقيقة الا بها
« وهى التى تبلغ آفاق هذا العالم غايته أن تلج بالفكرة فى ملك الله فكرة غذاؤها
« العقل والعلم السليم الصافى وهى فكرة روح لا هم لها الا الحق والصدق ..
« هذه الفكرة تنفذ بعد زمان الى جوهر الحقيقة ، واذا رأت الحقيقة أحبتها
« واتخذت من رؤية الحقيقة غذاءها وسعادتها حتى تدور دورتها وتعود الى حيث
« كانت ، وفى هذه الدورة تشهد هذه الفكرة العدالة فى ذاتها وتبصر الحكمة فى ذاتها
« وتشهد علما لم يلد ولو يولد وعلما لا يتصل بشىء مما تسميه علوما واقعية
« وهو علم جوهر الحقيقة ، ثم تمعن هذه الفكرة فى النظر الى كل حقيقة فى جوهرها
« وتستمتع بها حتى اذا شبعت غاصت فى أجواز السماء عادت الى منزلها الذى
« خرجت منه أول مرة فاذا بلغت حظيرتها وقف خيلها قائدها عند الحظيرة وألقى
« اليها (الامبروزيا) طعام الآلهة وسقاها (النيكتار) شراب الآلهة » .

★★★

واكبر ما بنيت له المعابد بعد الآلهة ... انها بنيت لعبادة الأبطال أى للصلاة لأولياء الله من سلف الانسانية الماجدين ... وفرضت أعياد المعابد ليجتمع فيها الاحياء وليذكروا أبطال السلف الصالحين ... وغلب عليهم الايمان بخلود الفضيلة والايمان بسعادة من خلا من آبائهم اذا تشبه الاحياء بمثل ما بلغوا من الفضل ، وعبادة الابطال تدخل العادلين في جزر السعادة وتقربهم الى جوار الآلهة الخالدين، وفى ذكرى العادلين دين مقدس فى ضمائر الاجيال ... واذا قدست الفضيلة فى قلوب الناس فلا بد أن تثمر الفضيلة ثمرا يشبه ثمار المجد التى علقت بذكر الصالحين، وقد سعدت الانسانية كلما استمسكت بأواصر المحبة بين ما ورث الصالحون من صالح الافعال وبين ما يستطيع التهذيب أن يثمر من خير في حياة الانسان . وكلما شرفت قيم الفضل امتدت في أعمار الانسانية وانبتت حولها سعادة الانسان ، وهل للحياة من قدر ان اجدبت من كل ثمرات الفضل والخير ؟ . ماهمت نفوس الاجيال في

هذه المدنية بشيء أعز من أن يشهدوا آلهتهم وأبطالهم أنهم مازالوا في حياتهم يحملون الفضيلة ويقدسونها ليرضوا آلهتهم وآباءهم الاولين والويل للانسان يوم تنقطع الاسباب بينه وبين مثل الخير الموروث التي حفظتها نقوش المعابد وآثار الخالدين في الاقوال والافعال ، ومن شيم الفضيلة أن توقد في نفوس الاحياء جذوة نار تثير الغيرة وتوقد حماسة الشرف والخوف من عار النقص والرذيلة ، وكلما علم الاحياء شيئا من صور الفضل التي تخلق به أبطال آبائهم ازدادوا غيرة على العلم وسهرا عليه كمن ينبت في حرثه أعز ما حملت النفس من ثمار .

انهم لا يجتمعون حول معابدهم الا ليعرضوا على آلهتهم ثمار زرعهم وجمال عقولهم وأجسامهم ويتوجون السباقين النابغين بتاج من شجرة زرعتها يد الابطال من سلف الاولين ليجتمع في تخليد الفضيلة حب الاولين والآخرين .

★★★

الابطال أحياء يوقدون جذوة نار في ضمائر الاحياء ، والاحياء يؤمنون بأن آباءهم خالدون في جزر السعداء وما يبتغي الاحياء من ثواب أكبر من أن يلحقوا بسلفهم الخالدين ... ثواب الفضيلة والعدل ، جنات الخالدين .. قد علمت هذه المدنية أسباب الخلود وأول التهذيب وآخره دين العدل ، الذي ينبت السلام وينبت العلم وينبت الذرية الجميلة وهو سبيل الخلود .

« فاذا بلغوا في الفضل خمسين عاما فمن تبع منهم في كل شيء في الافعال
« وفي العلوم فلا بد أن تدفعه الى نهاية الطريق ويلزمه ان يمد عينيه فيبصر بروحه
« ذلك الذي يضفي نورا على كل شيء ويتأمل الخير ذاته ثم يتخذ هذا الخير أسوة
« فيما يغني من شأن وطنه وما يصلح من نفسه وما يهذب من شئون الناس فيما
« بقي من حياته دون أن يكف عن طلب العلم واذا فرض عليه أن يحتمل تكاليف
« أعباء سياسة قومه يحتملها كفريضة فرضت عليه ولا يسعى اليها ابتغاء جاه أو
« شرف يناله ولا يكف عن تهذيب تلاميذه بمثل تهذيبه حتى لا يعدم الوطن حراسه
« من بعده فاذا ادى ما عليه ثم حضره الموت فمصيره أن يأوى الى جزر السعداء
« ويقيم له وطنه معبدا ويقيم وطنه الصلاة لذكراه . (١) » .

---

(١) افلاطون .

من آمن بدين العدل توجه العدل بتاج السعداء الخالدين ومن حفظ فضائل ابطال العدل والخير ثم تفرد بالفضل في الحكم والعلم والشجاعة زينوا مفرقه حيا بغصن من شجرة الزيتون المقدسة التي غرسها هرقل نيما خلا من الزمان . ومن تمت له فضيلة العدل ما دام حيا وعرض على الميزان قلبه وبيانه فان فاز توجته الآلهة بتاج الخالدين وادخلته جزر السعداء الخالدين وذكره الذاكرون في كل صلاة .

عاش بين الناس سعيدا فلما قضى صار عند الناس بطلا مقدسا .. وآباؤه كانوا ملوكا وابطالا مقدسين ... بعد ما قدسوا في قبور امام بيوتهم يسمعون بأرواحهم .

« في باطن الارض اناشيد الغناء تحيى آثار فضلهم كما تحيى قطرات الندى
« وارف الزهر ويسمعون ان ابنهم (أركيزيلاس) قد ورث فضيلتهم وأتم سعادتهم
« بحق فقد حق لأركيزيلاس أن يمجد أبولون ذا النسب الذهبي في أناشيد
« الشباب ، فقد كسب في (بيثو) (١) نصرا يعوض ما بذل من جهد ومال وآتته
« الاغاني العذبة ، وهذا الرجل يثنى عليه الحكماء ولن أقول الا ما سمعت من
« ثنائهم أنه كان أكبر من سنه حكما وعلما وبيانا ، وكان في قوته كالنسر بين الطير
« ذا قلب جريء وهو في النضال حصن قوى ، وهو فيما الهمت ملهمات الموسيقى
« والعلم ابن بجدتها منذ أرضعته أمه العزيزة وهو الآن أظهر أنه علامة في الفروسية
« لم يتقاعس كلما رأى طريقا للمجد . ان الله أذن أن يتم عليه نعمة القوة
« والحكم ... وأنا أدعو الآلهة السعداء ان ترعى أعماله ونواياه فيما يأتي من
« الزمان وأن تعصم أيامه من الريح المهلكة التي تهب فتهلك ثمار الزرع » .

« ان زيوس بعقله المحيط يتولى سعادة من يحب من البشر (٢) ، الفلسفة
« كما يقول سقراط ولدت من تأويل الاساطير بمنطق سليم مجرد ثم حملت الفلسفة
« على الاساطير باسم المنطق والعقل » .

« ثم حملت الفلسفة على الاساطير باسم المنطق والعقل » .

« المنطق (Logos) هو الذى جرنا الى ذلك (أي الى نفي الشعر من

---

(١) ألعاب بيثية تقام في ويلف تمجيدا لأبولون .
(٢) بندار

« المدنية) ولكيلا يتهمنا الشعر بالقسوة والخشـــونة ــ فنعتذر له بأن الخلاف « قديم بين الشعر والفلسفة فقد اتهم الشعر الفلسفة بأنها كلبة (تنبح فى وجه (سيدها) وسماها العظمة الثرثارة فيما لا يعقل ، وزمرة العلماء التي غلبت زيوس « (الذين يبحثون عن فتات الاشياء من فقرهم) وشواهد أخرى لا تحصى على ما كان « من صراع قديم بين الشعر والفلسفة (١ . » .

★★★

وقد كانت آداب المعابد وأساطير الموسيقى والشعر بحاجة الى المفسرين منذ أولها ... فآمنت طائفة وكفرت طائفة واستحكم الخلاف بين الكفر والايمان في القرن الخامس ق.م. والذين آمنوا بدين المعابد والعدل كانت فلسفتهم تأويلا لما حملت الاساطير والهيروغليفية من دين المعابد .. وتاريخ الفلسفة يتخبط في مجاهل الارض اذا درس بمعزل عن دين المعابد ... التى كانت قبل تاريخ الفلاسفة اليونانيين معابد للعلم والفنون والتأملات العقلية ، وما ذهب اليه بلوتارك فى وصل هؤلاء الفلاسفة بمعابد مصر يلخص القرابة بين الفلســـفة والمعابد وهـــو يرى أن فيثاغور قلد الهيروغليفية في فلسفته الرمزية ... ويرد تاريخ الفلسفة الى تاليس

هذه العبارة : .

« العالم له روح وكله آلهة »

ويرى الفيلسوف « هيراكليت » أن العالم بنى بالعدل ، والعدل يمســك السماء ان تميد والأرض أن تزول وتفســير كل ذلك أن الحرب والدة كل شيء وتولد الاشياء ثم تتماسك بحرب بين النقيضين اذا تماسك المتناقضان ، ومن أراد أن يزول الخلاف بين الآلهة والبشر فانما يتمنى زوال الكون وهذا الخلاف بين الآلهة والبشر هو هارمونية الاشياء ، فالليل والنهار متناقضان متلائمان بهارمونية العدل ، وهارمونية العدل تجمع الشتيتين من الصيف والشتاء ومن الحياة والموت ــ اذا بغى أحد النقيضين على نقيضه فعقابه الموت والفساد ، واذا بغت الشـمس تجاوزت قدرها ولم تغرب في مغربها الذى قدر لها ، حرقت كل شىء ، ويجمـع بين النقيضين العدالة وتصحب العدالة ربات الانتقام وهنا يلتقى الفيلسوف بميراث الاساطير الذى يتلوه هيزيود وبندار :

« ثم تجرد الفلسفة الاشياء من رموز الاساطير وتجعل العزة للعقل المجرد كما يذهب أكسينوفان الذى يحمل على ميراث الاساطير ـ الآلهة عند هومير وهيزيود ولدت من خلق الانسان وقادرة على أن تأتي بكل أخطاء الانسان ، صورها الانسان بثياب كثياب الانسان وجعل لها صوتا كصوت الانسان وشكلا كهيئة الانسان ... وهذه الصور جميعا من فعل الانسان ، واذا صور عبد حبشى آلهته فسيجعلهم سودا مثله وان صور رجل من تراقية آلهته فيصورهم شبهه بعيون زرق ، ولو استطاع الثور أو الجواد أن يصور آلهته لو كانت له آلهة فسيصورها في هيئة الثور أو الجواد .

وقد ذهب أنصار العقل المجرد كل مذهب في تقديس العقل ـ وجعلوا من العقل المجرد الها واحدا لا يشبه الانسان في شيء فهو ملؤه السمع والبصر والادراك وهو ساكن يحكم الاشياء بفكرته الثاقبة .

★★★

وآخرون صوروا آلهتهم في صور كصور البشر وكلفوا آلهتهم الغضب والاهواء والشهوات واتخذ أنصار العقل هذه الصور حجة على ما كان من بيان الاساطير ، ويشهد القرن الخامس ذروة الصراع بين الاساطير ـ والمنطق ، وأحلت الحرية لكل ذى بيان أن يدلى بحجته ولم يكن الصراع بين الاساطير والمنطق صراع علماء في مدرسة مغلقة ، ولكنه امتد الى دين المؤمنين والى مبادىء الحياة والسياسة ، فأى الفريقين غلب جعل الحياة صورة من ايمانه ومما اختار من مبادىء ، فاما دين المعابد واما دين جديد جعل المال الها واستمسك بأهداب النصر وأحل الحرام وحرم الحلال في سبيل الغلبة ... وهجر العدل لان قوانين الطبيعة أحلت مال المغلوب للغالب وأذلت أعناق المغلوبين للغالبين ، وما خرج على قوانين الطبيعة الملموسة ليس الا باطلا أتى به الانسان فيما خلا من دين الاساطير ، وكان علم السفسطة وعلماء السوفسطائيين دعاة فقهاء المبادىء الحديثة يثبتونها بحجج من البلاغة والمنطق واستهووا العامة الذين آل اليهم الحكم في الديمقراطية الاثينية .

وكان في المدائن رجال قديسون حملوا راية العدل والخير ، وصارعوا دين المنطق بما ورثوا من تهذيب المعابد ... ومن هؤلاء بندار في معابد الالعاب الرياضية الاولومبية ... ومن هؤلاء أشيل وسوفوكل من شعراء التراجيدية الاثينية .

فهرست

الموضوع	رقم الصفحة
١ ــ مقدمة عامة بقلم المترجم	(٧)
٢ ــ مسرحية نساء تراخيس	(٦٩)
٣ ــ مقدمة مسرحية « نساء تراخيس »	(٧١)
٤ ــ شخصيات المسرحية	(٧٢)
٥ ــ ترجمة نســاء تراخيــس	(٧٣)
٦ ــ تذييل « اسـ...ـار الاساطير »	(١٢٧)

ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١	ـ مانويل چاليتش	سمك عسير الهضم
٢	ـ چان آنوى	القبرة (چان دارك)
٣	ـ هال پورتر	البرج
٤	ـ تساو يو	عاصفة الرعد
٥	ـ هارولد بنتر	١ ـ الخادم الاخرس
		٢ ـ التشكيلة او عرض الازياء
٦	ـ جون وبستر	الشيطانة البيضاء
٧	ـ تيرانس راتيچان	الاسكندر المقدونى او قصة مغامرة
٨	ـ تيرى مونييه	سباق الملوك
٩	ـ جون مورتيمر	استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠	ـ فريدريش دورنيمات	النيزك
١١	ـ يونسكو ـ اداموف ـ ارابال ـ البى	دراما اللا معقول
١٢	ـ اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ١
		١ ـ مس جوليا
		٢ ـ الاب
١٣	ـ نيقوس كازندزاكى	عطيل يعود
١٤	ـ بيتر ڤايس	انشودة انجولا
١٥	ـ أوليڤر جولدسميث	تواضعت فظفرت
١٦	ـ موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ١
		● مدرسة الزوجات
		● نقد مدرسة الزوجات
		● ارتجالية ڤرساى
١٧	ـ دوچلاس ستيوارت	عسكر وحرامية أو نيد كيللى
١٨	ـ وليم شكسبير	العين بالعين

تابع ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١٩	أوجست ستريندبرج	(من الاعمال المختارة) ستريندبرج ـ ٢ الطريق الى دمشق ـ ثلاثية
٢٠	رومان رولان	١٤ يوليو
٢١	انجس ويلسون	شجرة التوت
٢٢	تيرانس راتيجان	روس أو لورانس العرب
٢٣	كارون دى بورمارشيه	حلاق اشبيلية
٢٤	وليم شكسبير	هاملت
٢٥	نويل كوارد	الحياة الشخصية
٢٦	سوفوكل	نساء تراخيس

الثمن

الكويت	١٥٠ فلسا	ليبيا	١٥ قرشا	مسقط	١٢٠ بايا
السعودية	٢ ريال	المغرب	٢ درهم	اليمن الجنوبية	١٢٠ فلسا
العراق	١٥٠ فلسا	تونس	٢٠٠ مليم	اليمن الشمالية	٢ ريال
الاردن	١٥٠ فلسا	الجزائر	٢ دينار	البحرين	١٥٠ فلسا
سوريا	١,٥ ليرة	القاهرة	١٥٠ مليما	الخليج العربي	٢ ريال
لبنان	١,٥ ليرة	السودان	١٥٠ مليما		

مطبعة حكومة الكويت

فى العدد القادم

من الاعمال المختارة

جبرييل مارسل : ترجمة وتقديم : **فؤاد كامل**

جبرييل مارسل احدى القمم فى الفلسفة الوجودية المعاصرة . وهو وسارتر على طرفى نقيض اذ أن وجودية مارسل ادت به الى التدين لا الى الالحاد . وفلسفة جبرييل مارسل لا تنفصل عن مسرحه ، فهما وجهان لعملة واحدة هي العملة التي يتعامل بها مع الوجود ، كما انهما وسيلتا تعبير يحاول به مارسل اماطة اللثام عن التجربة الانسانية .

ومارسل يكتب مسرحياته من داخل الواقع الفعلي نفسه ، ومن مركز مشكلاتنا الانسانية المحرقة . ووسيلته الى ذلك ان يضع الانسان ـ ذلك المخلوق من لحم ودم ـ فى مواقف تبين جوانبه المختلفة ، أو قل انه يضع الانسان فى تلك المحن والاختبارات التي تظهره على حقيقته ، ثم هو يتابع هذا الامتحان دون رحمة أو شفقة ، وبكل ما يملك من حدة وقدرة على الاستشفاف ، وان كان من النادر ان نحس منه رغبة فى الوصول الى نتائج ، كل ما يهدف اليه هو أن ينتزع من شخصياته الحد الاقصى من التفسير ، وان يلقي الاضواء الكاشفة على احوال تلك الشخصيات .

فى هذا العدد

(الجزء الاول من اعمال سوفوكل)

نساء تراخيس ترجمة وتقديم : **الدكتور علي حافظ**

تاريخيا قد لا يكون المسرح اليوناني هو الاقدم على الاطلاق . ولكنه هو الاقدم والاعرق باعتبار تأثيراته على المسرح الاوروبي بأسره من زمن اليونان حتى زماننا هذا بما فيه حركتنا المسرحية المعاصرة واذن فالرجوع اليه ضرورة لفهم اصول المسرح .

ومنذ وصل الدكتور طه حسين جامعاتنا بالدراسات اليونانية ضرب لنا مثلا على جدوى هذه الصلة بمترجماته من التراث المسرحي اليوناني ، وقد حظى هذا التراث بين الفينة والاخرى بالتفاتات من بعض الدارسين والادباء ، فتناولوا اجزاء منه بالنقل الى العربية والدرس وانبرت فرق لاخراجه على خشبة المسرح العربى . الا ان هذا وذاك لم يكن يكفي لاعطاء الصورة كاملة ولاقناع القارىء بالعظمة المنسوبة لهذا التراث .

والآن نقدم الباكورة من الآثار الكاملة لسوفوكل احد عمد هذا التراث . والدكتور علي حافظ مترجم من القلة الذين جاد بهم الدهر . تقرأ له فتحس بأن المسرح اليوناني حقيقة يستحق شهرته . والمترجم لا ينحو فى مقدماته منحى النقاش والتحليل وانمابسحر بيانه يثبت فى روح القارىء تلك القيم الروحية التى هي ثمرة الغوص فى اعمال سوفوكل .